قصيدة
٢٢

وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

للدعوة إلى الله

التقوى

إسلامية شهرية

الخلافة على منهاج النبوة

هبة من الله للجماعة الإسلامية الأحمدية

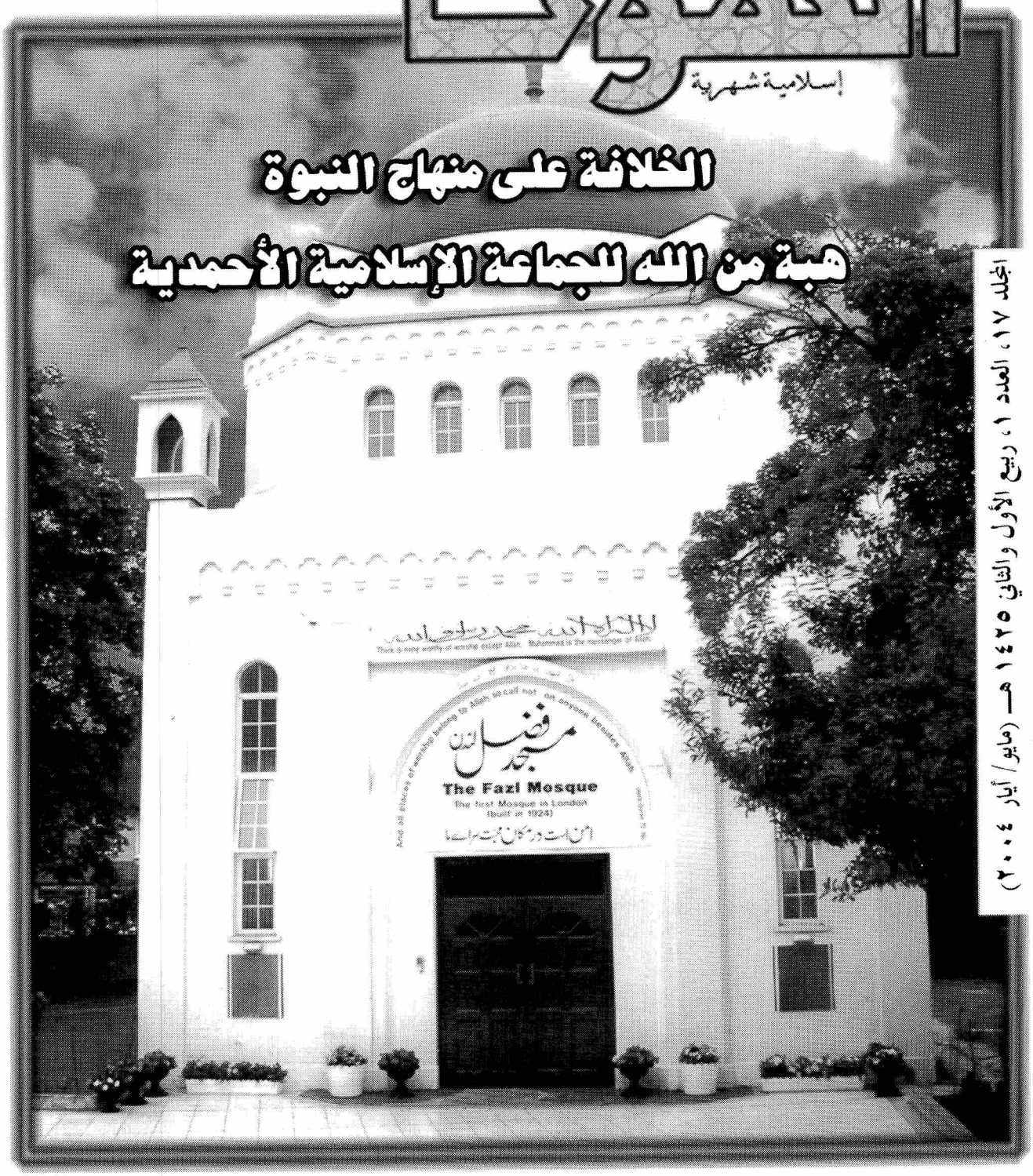

المجلد ١٧، العدد ١، ربيع الأول والثاني ١٤٢٥ هـ (مايو/ أيار ٢٠٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية في سطور

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الجماعة التي أسسها عام ١٨٨٩ سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني من الهند، الذي أعلن أن الله تعالى قد بعثه إماما مهديا ومسيحا موعودا طبقا للنبوءات التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. وقد أسس هذه الجماعة المباركة بأمر من الله تعالى حتى تحمل لواء الإسلام الصحيح وتنشر أنواره في العالم أجمع. وقد اختارت الجماعة أن تتسمى بهذا الاسم نسبة إلى اسم أحمد وهو اسم رسول الله ﷺ الذي ذكره سيدنا عيسى عليه السلام في سورة الصف.

وقد لاحظ حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية الأمراض العديدة التي أُصيب بها المسلمون نتيجة تسرب الكثير من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة إلى العقائد الإسلامية.. مما ساعد على زيادة الاختلافات والفُرقة والشتات بينهم، كما أن الألم كان يعتصر قلبه بسبب ضياع التوحيد بين قطاع كبير من البشر الذين جعلوا الإنسان العاجز إلها، أو اتخذوا مع الله آلهة أخرى، أو أنكروا وجود الله ومالوا إلى الإلحاد. ولذلك فقد أمره الله تعالى أن يكسر صليب الشرك والكفر، ويقتلع جذور الإلحاد، ويزيل عوامل الفرقة والاختلاف بين الناس، وذلك بأن يُقدم لهم الإسلام الصحيح الذي أتى به سيد الخلق ﷺ، فيملأ عقولهم من حِكَمه ومعارفه، وينير قلوبهم بأنواره وهداياته، ويضيئ أفئدتهم بحسنه وجماله، ويجمع الجميع تحت لواء واحد هو لواء الإسلام، ويرفع عاليا راية واحدة هي راية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

لذا فقد قضى مؤسس الجماعة كل حياته مجاهدا من أجل تحقيق هذه الأغراض، فألّف أكثر من ثمانين كتابا دفاعا عن الإسلام، وأثبت بطلان العقائد التي ورثها أهل الأديان الأخرى عن الآباء والأجداد، وأنشأ هذه الجماعة لتحمل اللواء من بعده، وأقام أفرادها على البر والتقوى، ورباهم على ما ربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام من مكارم الأخلاق.

وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٠٨ حقق الله تعالى ما وعد به رسول الله ﷺ من عودة الخلافة الراشدة في الأمة الإسلامية، فكان مولانا نور الدين رضي الله عنه خليفته الأول، تبعه الخليفة الثاني حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، وهو الذي تلقى عنه سيدنا أحمد عليه السلام بشرى من الله تعالى بأنه سيكون مصلحا موعودا، ثم تلاه الخليفة الثالث حضرة ميرزا ناصر أحمد – رحمه الله تعالى – ثم تلاه الخليفة الرابع حضرة ميرزا طاهر أحمد – رحمه الله تعالى – ونحن الآن في العهد المبارك لخليفته الخامس حضرة ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى.

وها أنت أيها القارئ الكريم تتصفح اليوم إحدى المطبوعات العربية لهذه الجماعة المباركة التي أُسست بأمر من الله لنشر الإسلام الصحيح .. إسلام خاتم النبيين وسيد الخلق أجمعين محمد المصطفى ﷺ .

تلك هي.. باختصار شديد.. ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية.

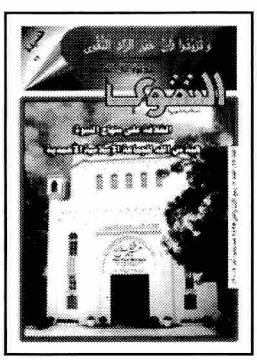

مسجد الفضل، لندن، احتضن مراسم انتخاب الخليفة الخامس لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام، حضرة مرزا مسرور أحمد -أيده الله تعالى بنصره العزيز- بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٢ أبريل ٢٠٠٣ م

لا إله إلا الله محمد رسول الله

التقوى

للدعوة إلى الله

إسلامية شهرية

التقوى إحدى مطبوعات
الشركة الإسلامية الدولية
للنشر والتوزيع

في هذا العدد

عودة الخلافة في الأرض	٢ - ٣
من حِكم وغايات المقطعات	٤ - ٩
الأسوة الحسنة	١٠
فدًى لك رُوحي يا محمدُ سَرمَدَا	١١
آية وإنذار (خطبة الجمعة)	١٢ - ٢٠
يا سيدي (قصيدة)	٢١
الخلافة في الإسلام	٢٢ - ٣٦

المجلد ١٧ - العدد ١ - ربيع الأول والثاني ١٤٢٥ هـ - (أيار) مايو ٢٠٠٤م

هيئة التحرير

أبو حمزة التونسي
(رئيس التحرير)

عبد المؤمن طاهر
عبد المجيد عامر
محمد طاهر نديم

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

الاشتراكات

أمة المجيد شودهرى

التوزيع

مظفر أحمد

مجلة إسلامية شهرية للدعوة إلى الله تصدر عن المكتب العربي في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية بلندن

جميع الاتصالات والمراسلات المتعلقة بالتحرير والاشتراكات تُوجَّه إلى العنوان التالي:

The Editor AL Taqwa P.O. Box 12926, London SW18 5ZN, United Kingdom

الاشتراك السنوي: 18 £ تُكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم: **ASI.Ltd** Annual Subscription: £ 18 Cheques payable to:

© جميع حقوق الطبع محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

http://www.alislam.org/altaqwa

عودة الخلافة في الأرض

بواسطة «خليفة الله المهدي»

لا يخفى على كل متدبر أن أول وأهم ما أراده الله تعالى بعد أن خلق السماوات والأرض هو أن يجعل في الأرض خليفة يبُثُّ بواسطته الروح في أهلها ويُريهم مناسكهم ويصلح حالهم ويلم شملهم. فهو من ناحية يعكس على الناس التجليات الإلهية ومن أخرى يشهد أمام الحضرة الإلهية على استيعاب الناس أوامره عز وجل، وبالتالي يكون عليهم شهيدًا. وهكذا – ومنذ بداية الخلق – أصبحت الخلافة البوابة الوحيدة التي يتلاقى عندها الله تعالى مع البشر، وعن طريقها تنزل الأوامر الإلهية والتعاليم السماوية والعلوم الدينية لأهل الأرض. وانطلاقًا من هذا المعنى أصبح من المستحيل أن تُترك الأرض بدون خليفة يُفوض إليه تمثيل السلطة الإلهية. وقد حرص الله جل شأنه أن لا يدع مكانًا أو زمانًا يخلو من خليفة تتناسب بعثته مع متطلبات الزمان والمكان حتى جاء الوقت الذي أراد الله تعالى أن يرسخ فيه الخلافة الكاملة ببعثة الخليفة الكامل، خاتم النبيين وسيد الخلق أجمعين سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ.

وهكذا أصبح واضحا أن الخلافة الربانية في صورة النبي تحدث بطريق مباشر حيث يختار الله تعالى فيها الخليفة بغير أن يشترك أحد من الناس في عملية الاختيار. ويذكر لنا القرآن الكريم مثالين من هذه الخلافة. الأول عن آدم عليه السلام حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣١).

والثاني عن داود عليه السلام حيث يذكر سبحانه في كتابه العزيز: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٧)

وبما أن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة مباشرة فإنه يُنسَب إليه سبحانه، فيُقال إنه خليفة الله. وعلى ذلك فإن كل نبي وكل رسول هو في واقع الأمر خليفة الله، أي أن النبوة هي في حقيقتها خلافة ربانية مباشرة، يختار الله فيها الخليفة (أي النبي) بطريق مباشر، دون أن يشترك أحد من الناس في عملية الاختيار هذه.

ولا يخفى على أي متدبر أن هنالك قسمًا ثانيًا من الخلافة الربانية وهي تلك التي يختار الله تعالى فيها الخليفة بطريق غير مباشر. ويُطلق على هذه الخلافة في الإسلام اسم "الخلافة الراشدة"، وهي الخلافة التي تلي بعثة النبي أو الرسول، ولذلك فهي تُنسب إلى ذلك النبي أو الرسول، فيُقال عن الخليفة إنه "خليفة النبي" أو "خليفة الرسول" أو "خليفة المسيح".

وقد وصف سيدنا رسول الله ﷺ هذه الخلافة بأنها "خلافة على منهاج النبوة". كذلك قال ﷺ إنه لم تكن من نبوة إلا وتبعتها خلافة. وهكذا حقق الله وعده على لسان نبيه الكريم لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات كي يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وأن يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا، بحيث يعبدونه فلا يشركون به شيئا. ومع أن الله تبارك وتعالى قد جعل هذا الوعد شبيها بما حدث في الأمم السابقة من المؤمنين إلا أن تلك التسمية، وهي الاستخلاف أو الخلافة، لم تكن بارزة هذا البروز الظاهر الجلي كما حدث في الأمة الإسلامية. فمع أن القرآن الكريم يطلق لقب "خليفة الله" على الأنبياء، إلا أن هذا اللقب لم يكن بارزا ومتداولا في تلك الأمم بشكل واسع كما تدل الآثار المتبقية لتلك الأديان، وكأن في ذلك إشارة إلى أن الاستخلاف في السابق كان معنويا وغير بارز ذلك البروز الذي قدر له أن يكون لاحقا في الإسلام. فبوفاة الرسول ﷺ برزت الخلافة كمؤسسة في الأمة الإسلامية لتتخذ هذا المسمى تلقائيا دون سابق تخطيط. فبرزت كقيادة لجماعة المسلمين التي تأسست على الإيمان بما جاء به المصطفى ﷺ والتي كانت تدين له بالطاعة والولاء التام. فجاء الخليفة الأول، حضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ليرث مقعد

الرسول ﷺ و صلاحياته، وليتابع قيادة هذه الجماعة على منهج النبي فكان خليفته الأول. وبما أن المصطفى ﷺ هو أعظم الأنبياء وخاتمهم فهو "خليفة الله" تعالى على أكمل وجه وصورة وفقا للتعريف القرآني. فكان الخليفة الأول، حضرة أبي بكر الصديق ﷺ "خليفة الرسول" مما يعني تلقائيا أنه "خليفة خليفة الله" فكانت الخلافة هي خلافة النبي وهي الاستخلاف الذي وعد الله به عباده المؤمنين الصالحين.

ثم امتدت الخلافة الراشدة في عهد حضرة عمر بن الخطاب ﷺ واستمرت أمارات الاستخلاف وعلاماته بالظهور وكان عهدا راشدًا رشيدًا، وكان هذا ثمرة إخلاص المؤمنين الذين التفوا حول إمامهم وأطاعوه فكافأهم الله بمزيد من الأمن والأمان والتمكين. و قد بدأ عهد الخليفة الثالث، حضرة عثمان بن عفان ﷺ، بمثل ما كان مع صاحبيه رضى الله عنهما، ولكن الفتنة كانت قد بدأت بالتسلل والتعاظم حتى انتهت بمأساة استشهاده ﷺ بشكل مأساوي على يد بعض من المسلمين. فاستلم الخليفة الرابع، حضرة علي بن أبي طالب ﷺ، لأمة كانت بذور الاختلاف حول مقام الخلافة قد وجدت تربة خصبة فنمت سريعًا. فواجه حضرة علي ﷺ، بكل أسف، عصيانا وتمردا وعدم احترام مما لا يليق بمقامه الذي هو أصلا مقام الخلافة في الأرض ومقام إمام جماعة المؤمنين. فكان الطمع في السلطان والانصراف عن الوجهة الحقيقية التي أُوجدت الخلافة من أجلها سببا في ضياع الخلافة الراشدة من المسلمين إلى الأبد. فضاع منصب الخليفة الذي هو إمام جماعة المسلمين، و أصبح مسمى الخليفة رديفا لمسمى "الملك" عند الأمم الأخرى من غير المسلمين، وأصبح مفرغا من مضمونه الديني الذي قام على أساسه.

وقد أكرم الله تعالى الأمة الإسلامية في هذا الزمان ببعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كمُمثل للسلطة الروحية لسيدنا محمد المصطفى ﷺ ليجمع الأمة على الإيمان مرة أخرى. فهو لم يكن زعيم فرقة ولا قائد حزب كغيره من الزعماء المسلمين. بل هو الإمام المهدي الذي لا بد من الإيمان به كي يصبح المسلم من جماعته. فأعاد جمع جماعة المؤمنين مرة أخرى على نفس المنهج الذي خطه سيده ونبيه حضرة محمد المصطفى ﷺ. فعادت الخلافة في الأرض من خلال "خليفة الله المهدي" الذي بشر به سيده المصطفى ﷺ. وبوفاة الإمام المهدي عليه السلام عادت الخلافة الراشدة مرة أخرى إلى الأمة على منهاج النبوة. وتتبع الجماعة في هذا الزمن نظاما حيا محافظًا على نعمة الخلافة وتعمل ليل نهار على صيانتها. ولكن لا شك أن الحفاظ عليها لا يكون إلا بالالتزام بما أمر به الله تعالى من الإيمان والعمل الصالح. وينبغي علينا، نحن المسلمين الأحمديين، أن نحرص كل الحرص على أن نكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات كي تستمر فينا هذه النعمة. كما ينبغي علينا أن نتذكر الأخطاء التي وقع فيها المسلمون من قبل وأن نحرص على أن لا نقع فيها.

وهكذا فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية تقدم لأمتها الإسلامية خلافةً على منهاج النبوة بشكلها الأصيل الذي قامت عليه الخلافة الأولى. وهي خلافة لا إفراط فيها ولا تفريط، فلا بد من أن تكون الجماعة مؤمنة وعاملة للصالحات كي يظهر الخليفة من هذه الطبقة من المؤمنين ومن خيار خيارهم. فمسيرة جماعة المؤمنين تعتمد على حال إيمانها وعملها الصالح، فإن صلحت الجماعة صلح الإمام، وإن فسدت الجماعة فسد كل شيء ولم ينفعها صلاح الإمام وتقواه. وقد شهد تاريخ الجماعة، بفضل الله، سجلا حافلا من الانتصارات التي فرح بها المؤمنون خلف الخلفاء الذين تحققت فيهم أمارات الخلافة، وينبغي أن نقابل هذه النعمة بالشكر كي يزيدها الله ويباركها ويجعلها مستمرة إلى يوم الدين. فيجب أن تكون الجماعة خلف الإمام على خير ما يرام كي يتسنى لهذا القائد أن يقودها إلى الاستخلاف والتمكين والأمن والأمان، وهذه مسئولية كل فرد من الجماعة أن يحافظ على هذه النعمة وأن يصونها وأن يحافظ على وحدة جماعة المؤمنين. على كل فرد أن يدعو للخليفة بأن يؤيده الله بنصره المبين، فما النصر إلا من عند الله، و هو نصر جماعة المؤمنين جميعهم وهو نصر السلام على الحرب ونصر النور على الظلمات. جعلنا الله من المؤمنين المستخلفين، وهدى أمتنا الإسلامية للانضواء تحت ظل الخلافة الإسلامية التي عادت من جديد، وأدام علينا نعمة الخلافة وأيد مولانا، حضرة مرزا مسرور أحمد، بنصره المبين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من حِكم وغايات المقطعات

الٓرٓ ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢

(سورة يونس)

من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد
المصلح الموعود رضي الله عنه الخليفة الثاني
لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (٢)

شرح الكلمات:

تلك: اسم إشارة للبعيد.

ال: حرف للتعريف، ومن معانيها أنها إذا دخلت على اسم دلت على أنه أكمل وجود بين جنسه.

آيات: مفردها آية. والآية: العلامةُ والدليل، ويقال لكل كلامٍ من القرآن منفصلٍ بفصلٍ لفظي آيةً، (تاج العروس). وأرى أن الجمل القرآنية سُميت آيات للحكمة نفسها، أي أن يدرك الناس أن مضامين القرآن مرتبة ترتيبًا كاملاً، وأن كل جملة منه دليلٌ على صدق ما ورد في الجملة السابقة من معان، وأنه بدون مراعاة هذا الترتيب لن يدرك أحد المعارف القرآنية بشكل جيد. وقد سُميت بالآيات كذلك لأن كل جملة قرآنية آيةٌ من آيات الله تعالى.

يزعم المسيحيون أن القرآن لا يدّعي أنه معجزة. والحق أنه قد سمّى كل جملةً منه آية (أي معجزة)، مشيرًا إلى أنه يحتوي على معجزات كثيرة، بل إنه بنفسه معجزة عظمى.

الكتاب: مصدرُ كَتَبَ يكتُب. يقال: كَتَبَ الكتيبة (وهي الجيشُ): جمعها. وكتب السقاءَ: خرَزه بسيرين (تاج العروس).. أي سد فمه بخيطين من

جلد. وبهذا المعنى يسمى الكتاب كتابًا لأنه تُجمع فيه مسائل مختلفة، ولأنهُ صنع بتجميع الأوراق بخيط وغيره. والكتابُ: "ما يُكتب فيه من مجموعة أوراق فارغة؛ ما كُتب؛ الفرضُ؛ الحُكمُ؛ القدرُ؛ والرسالةُ المكتوبة" (أقرب الموارد).

الحكيم: هو العالم؛ صاحبُ الحكمة؛ المتقنُ للأمور. (الأقرب). والمحكمُ القويُ. والحكمة: العدلُ؛ العلمُ؛ النبوةُ؛ ما يمنع من الجهالة؛ كلُّ كلام موافق للحق؛ وضعُ الشيء في موضعه؛ صوابُ الأمر وسداده (الأقرب).

وحَكَمَ: أصلُه مَنَعَ منعًا للإصلاح، ومنه سُميت اللجام حَكَمَةَ الدابة؛ قال الشاعر: أَبَني حنيفة أحكِموا سفهاءَكم (المفردات).. أي امنعوهم من الفساد.

التفسير:

﴿الر﴾: إن المقطعات القرآنية مثل ﴿الر﴾ تتضمن أسرارًا عديدةً، منها ما يتعلق بأشخاص لهم علاقة قوية بالقرآن الكريم بحيث لا بد من ذكرهم فيه. كما تعمل المقطعات عمل القفل لمعاني القرآن، فلا يمكن لأحد أن يدركها إلا بفتحها، وبقدر ما تنفتح له هذه الأقفال يتمكن من الاطلاع على معانيها.

وإنَّ بحثي بهذا الصدد يؤكد أن معاني القرآن تتجدد بتغيّر هذه الحروف. فإذا ابتدأت سورة بحروف منها فالسور التي تليها – من غير أن تبتدئ بأيّ مقطع من هذه المقطعات – تكون تابعةً للسور السابقة في الموضوع، وأن السور المتماثلة في المقطعات تكون متفقة في الموضوع ومنسلكةً في سلك واحد.

وقد سبق أن بيّنت أن هناك موضوعًا واحدًا يستمر من سورة البقرة إلى سورة التوبة، وهذه السور مرتبطة بمقطع ﴿الم﴾ الذي تبتدئ به سورة البقرة. ثم تأتي سورة آل عمران فتبدأ بالحروف نفسها، أما سور النساء والمائدة والأنعام فإنها خالية من المقطعات، فكأنها جميعًا تابعة لما قبلها. بعد ذلك تبدأ الأعراف بـ ﴿المص﴾، محتوية على (الم)، زِيْدَ في آخرها (ص). بعد ذلك الأنفال والبراءة خاليتان من المقطعات، فيستمر الموضوع المتعلق بـ ﴿الم﴾ إلى البراءة. أما الصاد الذي زيد في آخر مقطعة "الأعراف" فيشير إلى موضوع التصديق. إن الأعراف والأنفال والتوبة كلها تبحث في نجاح النبي ﷺ وازدهار الإسلام، لكنّ الأعراف تشير إلى موضوع التصديق بصورة مبدئية مختصرة، والأنفال والتوبة تذكرانه مفصلاً، ولذلك قد زيد حرف الصاد في الأعراف.

ثم سورة يونس تبدأ بـ﴿الر﴾ بدلاً من ﴿الر﴾، فبقيت "ال" على حالها لكن الراء حلت محل الميم. وهنا يتغير الموضوع، لأن البحث من سورة البقرة إلى التوبة كان من وجهة نظر علمية، ولذلك قال في البقرة ﴿الم﴾ أي أنا الله أعلم، ولكنّ البحث من يونس إلى الكهف يحمل طابع الحوادث التاريخية ويقتصر على الاستنتاج من تلك الحوادث، لأجل ذلك قال الله في سورة يونس ﴿الر﴾، أي: أنا الله أرى، وأعرضُ عليكم هذا الكلام معتمدًا على رؤيتي لتاريخ جميع أمم الأرض. فهذه السور كلها تبحث في صفة "الرؤية"، أما السور التي قبلها فتختص بصفة العلم.

أرى من المناسب أن أذكر هنا بإيجاز ما يزعمه بعض المفسرين من أن المقطعات لا معنى لها وأنها وُضعت قبل السور بدون جدوى. الحق أن المقطعات نفسها تبطل زعمهم، لأننا إذا أَجَلْنَا النظر في القرآن، وجدنا المقطعات مرتبة ترتيبًا وثيقًا. البقرة تبدأ بـ﴿الم﴾، ثم آل عمران تبدأ بـ﴿الم﴾، ثم النساء والمائدة والأنعام بلا مقطعات. ثم تبدأ الأعراف بـ﴿المص﴾، ثم الأنفال والبراءة خاليتان منها. ثم سورة يونس وهود ويوسف تبدأ بـ(الر)، ثم زيد إليها (م) في الرعد وجعلها (المر)، لكن

الزيادة هنا تختلف عما مضى، إذ جاء حرف الصاد في الأعراف بعد المقطع السابق الكامل، وأما هنا فكُسر المقطع (الر) ووضع الميم قبل الراء. فلو كانت الزيادة عن غير قصد لوضع الميم بعد الراء، لكن توسُّط الميم بين اللام والراء يدل على أن هذه الحروف تؤدي معنىً خاصًا. عندما نجد أن السور المبتدئة بـ(الم) متقدمة وتليها السور المبتدئة بـ(الر) يتضح لنا تمامًا أن الميم متقدمة على الراء من ناحية المعنى. وحينما اجتمعت هنا في سورة الرعد الميم والراء، وقدّمت الميم على الراء تأكد بأن هذه الحروف جميعها وضعت لمعانٍ خاصة، وكذلك نجد أن المتقدمة منها معنىً متقدمةٌ في الترتيب أيضًا.

ثم استُهِلَّت سورة إبراهيم وسورة الحجر بـ﴿الر﴾، لكن النحل والإسراء والكهف لم تستهل بالمقطعات، فكأنها تابعة في الموضوع لما قبلها. ثم سورة مريم تُفتتح بـ﴿كهيعص﴾، وطه بـ﴿طه﴾، ثم الأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان كلها خالية من المقطعات، وكأنها تابعة لـ"طه". ثم الشعراء تبدأ ب ﴿طسم﴾، فبقيت الطاء من ﴿طه﴾ على حالها وزيدت عليها السين والميم مكان الهاء. بعد ذلك سورة النمل التي تبدأ بـ﴿طس﴾ حيث حُذفت منها الميم وبقيت ﴿طس﴾. ثم عادت سورة القصص مبتدئة بـ﴿طسم﴾، وكأن موضوع حرف الميم أضيف من جديد إلى موضوع السورة.

> **"ولكن الواقع أن اجتماع السور ذات المقطعات المتماثلة يدل على اشتراكها في موضوع واحد، وأن المقطعات هي بمثابة المفاتيح لمعانيها. ولتحديد معاني المقطعات أرى من الأفضل أن نرجع إلى القرآن نفسِه."**

بعد ذلك تبدأ العنكبوت بـ﴿الم﴾، فتكرر فيها بحثُ علمِ الله من ناحية أخرى، ومن أجل غاية جديدة. إنني وإن لم أكن هنا بصدد بحث موضوع الترتيب، ولكني لو سُئلتُ عن تكرار ﴿الم﴾ هنا، لقلت: إن خطاب ﴿الم﴾ في السور الأولى كان للكفار، أما في العنكبوت فموجه للمؤمنين.

ثم الروم ولقمان والسجدة تبدأ بـ﴿الم﴾. ثم الأحزاب وسبأ وفاطر بلا مقطعات، وكأنها تابعة لما قبلها. بعد ذلك سورة "يس" تبدأ بالياء والسين، ثم الصافّات بلا مقطعات. ثم سورة ﴿ص﴾ تبدأ بالصاد، وسورة الزمر خالية من المقطعات، وهي تابعة لما قبلها. ثم سور "غافر" و"فصّلت" والشورى تبدأ بـ﴿حم﴾، لكن زيدت في الأخيرة ﴿عسق﴾. وبعدها الزخرف تبدأ أيضًا بـ﴿حم﴾ ثم الدخان والجاثية والأحقاف كلها تبدأ بالحروف نفسها. ثم سورة محمد ﷺ والفتح والحجرات بلا مقطعات، وهي تابعة لما قبلها. ثم سورة (ق) تبدأ بالقاف. ثم يستمر موضوع واحد إلى آخر القرآن.

فتكرار الحروف المتجانسة، ثم حذف البعض منها وتعويض البعض الآخر .. إنْ دل على شيء فإنما يدل على أن الذي وضعها على هذه الصورة إنما فعل ذلك لغاية ما، سواء فهمناها نحن أم لا. ولو كانت قد وُضعت بدون سبب لما كانت ثمة حاجة إلى استبدال بعضها ببعض أو حذف بعضها وإضافة بعضها أحيانًا.

وعلاوة على ذلك، فإنه يُستنبط من قولٍ لمعارضي الإسلام أن المقطعات تحمل بعض المعاني. يقول هؤلاء المعارضون بأن ترتيب السور في المصحف إنما هو بحسب طولها أو قصرها. ولو سلمنا بهذا جدلاً أفلا يكون غريبًا أن السور ذات المقطعات المتجانسة قد جاءت في المصحف مجتمعة، رغم ورود السور فيه بحسب طولها على حد زعمهم. فجاءت السور المبتدئة بـ﴿الم﴾ معًا، وكذلك

التي تحمل ﴿الر﴾ جاءت معًا، وسورة (طه) وما يجانسها في حروف مقطعاتها وردت أيضًا مجتمعة، والسور التي تُفتتح بـ﴿حم﴾ جاءت معًا. فلو كان المصحف مرتبًا بحسب طول السور أفلا يعدّ عجيبًا أن المقطعات أيضاً تشير إلى طولها أو قصرها. فكل هذا يؤكد أن للمقطعات هدفًا ومغزى، وإن ظننا أنه مقتصر في إشارتها إلى طول أو قصر السور.

ولكن الواقع أن اجتماع السور ذات المقطعات المتماثلة يدل على اشتراكها في موضوع واحد، وأن المقطعات هي بمثابة المفاتيح لمعانيها. ولتحديد معاني المقطعات أرى من الأفضل أن نرجع إلى القرآن نفسه.

فقد جاءت في البقرة بعد ﴿الم﴾ آيةُ ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾. ثم في آل عمران وبعد ﴿الم﴾ جاء ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق﴾. ومما يجب ملاحظته هنا أن ﴿لا ريب﴾ و﴿الحق﴾ هما بمعنى واحد، فقد ذَكَرَ بعد ﴿الم﴾ في سورة البقرة قوله ﴿كتاب لا ريب فيه﴾، وفي آل عمران أيضًا قال بعد المقطع عن هذا الكتاب بأنه نزل بالحق.

ثم تبتدئ سورة الأعراف بـ ﴿المص﴾. ثم وردت بعدها آية ﴿كتاب أُنزل إليك فلا يكن في صدرك حرجٌ منه لتُنذر به وذكرى للمؤمنين﴾. وهنا أيضًا ذكر الكتاب الذي صفته أن ﴿لا ريب فيه﴾، لأن قوله ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ يدل أيضًا على الميزة نفسها.

ثم تبتدئ سورة العنكبوت بعد عدة سور بمقطع ﴿الم﴾ أيضًا، ويليها قول الله عزوجل: ﴿أحسب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليَعلَمَنَّ اللهُ الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين﴾. هذه الآيات أيضًا تذكر كتابًا يقينيًا حقًا، لأن الاختبار لا يكون إلا لدفع الشك وإبطال الريب. فهنا أيضًا نجد البحث نفسه الذي تشير إليه سورة البقرة باختلاف بسيط هو أن الخطاب في سورة البقرة عامّ، وهنا الخطاب خاص بالمؤمنين، وقد قيل لهم بأنه كيف يمكن أن يستحقوا معاملة المقرَّبين إذا كان الشك لا يزال يُساور قلوبهم؟

وفي سورة الروم البحث نفسه وإن كان قد أصبح غاية في الدقة. يقول الله ﷻ: ﴿الم. غُلبت الرومُ في أدنى الأرض وهم مِن بعد غَلَبِهم سيَغلبون﴾، أي أنَّ كلام الله قد نزل في الروم وسيتحقق بلا شك. وكأن الله عزوجل أشار هنا إلى جزء من الكتاب واستغنى عن الكل، وأكد تحققه بحرفَي التأكيد (مِن) و(س) فقال: ﴿مِن بعد غَلَبِهم سيغلبون﴾. ثم تبتدئ سورة لقمان أيضاً بـ﴿الم﴾، ويليها قول الله عزوجل: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم هدىً ورحمةً للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾. وصفة الحكيم هنا أيضًا تدل على أمر يقيني، فكأنه تكرار لموضوع سورة البقرة.

بعد ذلك سورة السجدة تبدأ بـ﴿الم﴾ أيضًا، ويليها قول الله عزوجل﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العلمين﴾. هنا أيضًا ذكر الكتاب الذي لا ريب فيه.

فهذه الآيات كلها توضح جليًا أنه كلما ذكر ﴿الم﴾ تبعها موضوع خاص يؤدي إلى علم يقيني لا يساوره ريب. فكيف يمكن مع هذه الحقيقة الناصعة بأن نتوهم ونقول بأن هذه الحروف مهملة لا تهدف إلى شيء. فالحق أن ﴿الم﴾ ترمز إلى إزالة الشك وتمكين اليقين. والشيء الذي يبطل الشك ويهب اليقين هو العلمُ الكامل الذي يدل عليه معنى ﴿الم﴾ أي "أنا الله أعلم".. والمقصود أنَّه مَن أراد استئصال الشك وإحراز اليقين فليتوجه إلى كلامي وليدرُس كتابي.

أما الآن فأتناول ﴿الر﴾. والحق أننا إذا أمعنا النظر في السور المبتدئة بهذه

الحروف وجدناها تبتدئ ببحث واحد. فقد استهلت سورة يونس بقوله عزوجل: ﴿الر. تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً أنْ أوحينا إلى رجل منهم أنْ أنذِرِ الناسَ وبشِّرِ الذين آمنوا أن لهم قَدَمَ صدقٍ عند ربهم، قال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين﴾.

ثم ورد في سورة هود قول الله تعالى: ﴿الر، كتاب أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلاّ الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفِروا ربكم ثم توبوا إليه يمتِّعْكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمّى ويؤتِ كلَّ ذي فضل فضلَه وإن تَوَلَّوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾.

ثم في سورة يوسف يقول الله عزوجل: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسنَ القَصصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين﴾.

ثم في سورة الرعد جاء: ﴿المر، تلك آيات الكتاب، والذي أُنزل إليك مِن ربك الحقُّ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، اللهُ الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجل مسمى يدبّر الأمرَ يُفصّل الآياتِ لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾. هنا اجتمع مضمون الميم والراء.

ثم ورد في سورة إبراهيم: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتُخرج الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وويل للكافرين من عذاب شديد﴾.

ثم في سورة الحِجر قال: ﴿الر، تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين، رُبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ... وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم، ما تسبق مِن أمةٍ أجلها وما يستأخرون﴾.

إذا أمعنّا النظر في هذه المواضع معًا، تبيّن لنا أن البحث فيها يدور حول موضوعين اثنين؛ الأول: التاريخ القديم وبخاصةٍ عقاب المجرمين، والثاني: خلق الكون. والاستفهام الإنكاري في سورة يونس ﴿أكان للناس عجبًا...﴾ يدل على أن الأنبياء بين بشير ونذير لم تنقطع بعثتهم قط. وفي سورة هود يبيّن الله تعالى أن كل قوم في تطور دائم، وأنه لا بد أن يتطور في مدىً معين. وقد وضّح عند ذكره خلق الكون أنَّ تقدم العالم خاضعٌ لقانون الارتقاء.

وفي سورة يوسف تحدّث الله بصورة واضحة عن تاريخ العالم. وجمع في سورة الرعد – حين زاد الميم – بين موضوعي (الم) و(الر) وهما: إشارة إلى كلام يقيني، ولفتُ النظر إلى خلقِ الكون. ثم كرر ضرورة التوجه إلى التفكير في قوانين القدرة في سورة إبراهيم وقال: انظروا إلى العالم تجدوا فيه آثار يد الخالق الواعي. وفي سورة الحجر دعانا إلى التفكير في القانون القديم. ومن البيّن أن الكون وحوادثه المختلفة مرتبطة بالرؤية، وإنما يستطيع التحري عن الحقيقة من تحدُثُ أمام عينه ظواهرُ الكون أو تنكشف قوانينه أمامه. فعلاقة هذه المجموعة من السور بالرؤية واضحة كما تشهد بها كلمة (الر) التي قيل فيها: (أنا الله أرى). فلا التاريخ القديم غائب عني، ولا

"ومما يجدر ذِكرُه أيضًا أن المقطعات، وإن كانت معانيها تتغير بتغير الحروف، لكنها كلها متفقة في أمر واحد، هو أن السور التي تفتتح بالمقطعات يستهل موضوعها بذكر الوحي، ومعظم هذه السور تصرح بكلمة الكتاب والقرآن، وبعضها تشير إلى سِفر قديم مثلما جاء في سورة مريم، أو إلى كلام خاص مثلما جاء في سورة الروم."

خلق الكون وقوانينه خافية علي. فهدايتي فقط هي التي يمكن أن تغنيكم عن كل شي آخر في إدراك الحقائق المتعلقة بالرؤية.

ومما يجدر ذكرُهُ أيضًا أن المقطعات، وإن كانت معانيها تتغير بتغير الحروف، لكنها كلها متفقة في أمر واحد، هو أن السور التي تفتتح بالمقطعات يستهل موضوعها بذكر الوحي، ومعظم هذه السور تصرح بكلمة الكتاب والقرآن، وبعضها تشير إلى سِفر قديم مثلما جاء في سورة مريم، أو إلى كلام خاص مثلما جاء في سورة الروم.

والآن نتناول تفسير بقيّة الآية:

هذه الآية مصداق تماما للمثل القائل: خيُر الكلام ما قل ودل. فإنها على قلة كلماتها، تتضمن معاني واسعة لدرجة أنها ترسم لنا صورة جميلة لمحاسن القرآن وكمالاته. تدبروا في معاني مفرداتها المذكورة أعلاه، لتدركوا مدى سَعة مفاهيمها. لقد بيّن الله تعالى فيها أن هذه آيات كتاب يزخر بالعلوم، يعلّم العدل، يمنع من الجهل، يستوعب الحقائق كلها، يأمر بما يتلاءم مع المقام والحال، يعلّم صلاح الناس، ويحتوي على أمور محكمة.

لاحظوا بلاغة اللغة العربية، وانظروا كيفَ أعلن القرآن بكلمة واحدة عن دعاويه العديدة وأهدافه السامية، وقال: الآن يجب عليكم النظر في القرآن لتروا ما إذا كان متحلياً في الحقيقة بهذه المزايا والمحاسن أم لا؟ فإن كان بالفعل مُتسمًا بها فأي شك في أن رفضكم إياه يتنافى مع العقل والمنطق. ومَن منكم يقدر على أن يثبت أن القرآن لا يتصف بهذه المزايا؟

لقد قيل عن كلمة "تلك" إنها اسم إشارة للبعيد، فكيف جاز استخدامها للإشارة إلى آيات الكتاب، مع أنها قريبة وليست ببعيدة؟

وقد أجاب بعضهم عن هذا بقولهم: إن "تلك" هنا إشارة إلى الآيات الواردة في التوراة وغيرها من الكتب السابقة، التي تبشر بنزول هذا الكلام المبارك، فقال إن تلك الآيات المبشَّر بها قد أصبحت الآن جزءًا من هذا الكتاب. بمعنى أن تلك المبشرات قد تحققت بنزول آيات القرآن.

ويرى الآخرون أن الله تعالى كتابًا كاملاً، وأنه يُنزل منه آيات في أوقات مختلفة، وأن "تلك" هنا تشير إلى آيات ذلك الكتاب الكامل الموجود لدى الله سبحانه وتعالى.

وقال غيرهم بأن "تلك" كما تشير إلى شيء بعيد بعدًا مكانيًا فإنها تُستخدم أيضاً للإشارة إلى ما هو بعيد في الدرجة والمكانة، وقد وردت هنا للغرض نفسه، أي تعظيمًا وإكبارًا للآيات القرآنية .

هذه المعاني كلها صحيحة ولا بأس بها، غير أني أرى أن هناك معنىً آخرَ أيضاً يشبه المعنى الأخير من بين المعاني المذكورة آنفًا، ويختلف عنها أيضا من بعض النواحي، وهو كما يلي:

يقول الله تعالى في الآية التالية: ﴿أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم..﴾ هل يعدون هذا الأمر غريبًا أو مستحيلاً؟ والأمر العجيب أو المستحيل هو ما يعتبره الإنسان مستبعدًا بقياساته. إذن فكأن الله تعالى يذكر أن الكفار يستبعدون المضامين القرآنية ويعدونها مستحيلة، فيقول معرِّضًا بظنونهم ومزاعمهم: إن تلك الأمور المستبعَدة والمستحيلة بزعمكم هي آيات من كتاب محكم.. أي أنها ليست عجيبة ولا مستحيلة، بل لا شيء أشدّ يقينًا وتأكيدًا منها. فكلمة "تلك" تشير إلى استبعادهم لتلك الأمور. وقد ذكر الله هذا المعنى أيضًا في موضع آخر من القرآن الكريم بقوله: ﴿إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا﴾ (المعارج: ٧و٨). فالإنسان إذا اعتبر الشيء عجيبًا ومستحيلاً فكأنه يعتبره بعيدًا، لذلك قال الله هنا ـ نظرًا لظنونهم ومزاعمهم ـ إن ما تستبعدونه بعقولكم هو ليس كذلك، بل قد صار آياتٍ من هذا الكتاب الحكيم، وسوف يتحقق لا محالة.

(يُتبع)

من نفحات أكمل خلق الله
محمد المصطفى ﷺ

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمان)

عَن عَبْداللَّه بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمـان)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ. (صحيح البخاري، كتاب الاستئذان)

عَن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُم.. الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ. لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ. وَالَّذي نَفْسي بِيَده لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ. أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ. (الترمذي، صفة القيامـة)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ. (الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب)

فِدًى لكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرمَدَا

تَذكَّرتُ يومًا فِيهِ أُخرجَ سيِّدي ... فَفَاضتْ دُمُوعُ العَيْن مِنِّي بِمُنتَدَى
فوجهُ المدينةِ صَارَ مِنهُ مُنوَّرًا ... وَبَاركَ حُرَّ الرَمْلِ وَطْئًا وقَرْدَدَا
حَفَافَي جِنانِي نوِّرَا مِنْ ضِيائِهِ ... فأصْبحتُ ذا فَهمٍ سليمٍ وذَا الهُدى
وَأرسَلَنِي رَبِّي لتأييدِ دِينِهِ ... فَجِئْتُ لِهذَا القَرنِ عَبْدًا مُجدِّدَا
لَهُ صُحبةٌ كانُوا مَجَانِينَ حُبِّهِ ... وَجَعلُوا ثَرى قَدَمَيهِ لِلْعَينِ إثْمَدَا
وكانَ وِصَالُ الحقِّ في نِيَّاتِهم ... وخَطَرَاتِهِمْ فالأجْلِهِ مَدُّوا الْيَدَا
وَرأوْا حَيَاتٍ نُفُوسِهِمْ في مَوْتِهِمْ ... فَجاؤُا بِمَيْدَانِ القِتَالِ تَجَلُّدَا
فظَلُّوا يُنادُونَ المَنَايَا بِصدقِهم ... ومَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أبى أو تردُّدَا
وفَاضَتْ لِتَطهيرِ الأُنَاسِ دِماؤهم ... مِنَ الصِّدقِ حَتّى آثَرَ الخَلْقُ مَرْصَدَا
وأحْيَوْا لَيَالِيَهُمْ مَخَافَةَ رَبِّهِمْ ... وَأذَابَهُمْ يَومٌ يشَيِّبُ ثَوهَدَا
تَنَاهَوْا عنِ الأهواءِ خَوفًا وخَشْيَةً ... وَبَاتُوا لِمولاهُمْ قِيَامًا وسُجَّدًا
تَلَقَّوا عُلُومًا من كِتَابٍ مُّقدَّسٍ ... حَكِيمٍ، فَصَافَاهُمْ كَرِيمٌ ذُو النَّدى
فَفَاقُوا بِفضلِ اللّهِ خلْقَ زَمَانِهِمْ ... بِعِلمٍ وإيمانٍ ونُورٍ وبِالهُدى
وهذَا مِنَ النُّورِ الذي هُو أحمدُ ... فِدًى لكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرمَدَا

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص ٩٢ – ٩٣)

آية وإنذار

* خطبة جمعة ألقاها حضرة ميرزا طاهر أحمد – رحمه الله –
الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

أُلقيت في ١٣ أيار/ مايو ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلنـدن

ترجمة: عبد المجيد عامر
(داعية إسلامي أحمدي)

* هي الخطبة الثامنة عشرة والأخيرة من سلسلة الخطب التي ألقاها سيدنا ميرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ردًّا على تهم باطلة ألصقتْها بجماعته حكومة الدكتاتور الجنرال ضياء الحق في باكستان في "البيان الأبيض" المزعوم الذي نشرته بعنوان: "القاديانية، خطر رهيب على الإسلام."

لقد ذكر الخطيب في كلمته هذه كشفًا لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام الذي ينطبق تماما على هذا القرطاس الأبيض المزعوم والرد عليه من قبل الجماعة الأحمدية. ثم قال حضرته بأن الطوفان البحري الذي تصاعد إلى شاطئ كراتشي في العاشر من رمضان عام ١٩٨٥م جاء تصديقا لرؤياه السابقة، لعل الناس يتَّعِظون.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيـم، بسْم الله الـرَّحْمن الرَّحيـم* اَلْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّيـن*إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعـينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالين﴾ (آمين)

﴿قُلْ سيرُوا في الأرْض فَانظُـرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ الْمُجْرمين * وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهمْ وَلا تَكُنْ في ضَيْق مِّمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إنْ كُنتُمْ صَادقـينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذي تَسْتَعْجلُونَ * وإن ربَّكَ لَذُو فَضْل عَلَى النَّـاس وَلَكـنَّ أَكْثَـرَهُمْ لا يَـشْكُـرُون﴾ (النمل: ٧٠-٧٤)

لقد مضت عدة شهور وأنا أردُّ على البيان الأبيض المزعـوم الـذي نـشـرتـه حكومـة باكستـان، فـظـلـت خـطـب الجمعة كلها أثنـاء هذه الـفـترة – إلا فيما شـذ وندر – مقتصرة على هـذه الردود.

رؤيا غريبة

قبل بضعة أيام بعث إليَّ أمير*جماعتنا في دسكة بباكستان رسالةً ذكر فيها رؤيا لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام شاهدها حضرته في ١٠سبتمبر/أيلول عام ١٩٠٣م وهي مسجلة في الصفحة ٤٨٥ من مجموعة إلهاماته "التذكرة". ثم قال هذا الأخ في رسالته: إني أظن أن للرؤيا علاقة بالردود على البيان الأبيض المزعوم. ولشدَّ ما كانت دهشتي حين قرأتُ الكلمات الأصلية للرؤيا ووجدتها تنطبق بصورة مدهشة على هذا الحادث. ولا شك أنني ما سُررت وما سُعدتُ طيلة فترة الرد على "البيان الأبيض" المزعوم بقدر ما سعدتُ وسررتُ بعد مطالعة هذه الرؤيا لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وتعجز الكلمات عن وصف السكينة القلبية التي حصلتُ عليها بعد مطالعتها. فمن عجائب قدر الله عز وجل أنه أخبر سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قبل ٨٢ أو ٨٣ عاما أن حادثا من نوع كذا وكذا سوف يحدث، وسوف يتم الرد المفحم والمقنع عليه بتوفيق من الله عز وجل. فيقول حضرته عليه السلام عن الرؤيا المذكورة:

"رأيتُ في الرؤيا أن في يدي كتابًا لأحد المعارضين أَغْسِله بالماء وهناك شخص آخر يصب الماء. عندما ألقيت عليه النظرة وجدته قد غُسِل تمامًا وصار ورقةً بيضاء، ولم يبق على صفحة العنوان إلا اسمًا أو ما شابه ذلك." (التذكرة ص ٤٨٥ الطبعة الثالثة عام ١٩٦٩م، الناشر: الشركة الإسلامية المحدودة بربوة)

آية عظيمة

تنطبق هذه الكلمات وبشكل مذهل تمامًا على "البيان الأبيض" المزعوم. أولا وقبل كل شيء يجب الانتباه إلى أن معارضي الجماعة لم ولن يزالوا يؤلفون كتبًا ضدها، ولا يبدو أن هذه الرؤيا تتعلق بأيٍّ كتاب منها، لأن ذكرَ كتب المعاندين منتشر في كل حدب وصوب على أوراق التاريخ، ولا نرى سببًا لتخصيص كتاب معين دون غيره بالرؤيا المذكورة. ولكن لو نشرت حكومة من الحكومات كتابًا ضد الجماعة لامتاز ذلك الكتاب عن غيره وبالتالي لأصبح الأمر ذا أهمية خارقة. لذا لا شك أن الرؤيا السالفة الذكر تذكر كتابا له أهمية خارقة. والحادث الذي نحن بصدده هو الأول من نوعه في تاريخ الأحمدية الممتد على مائة عام حيث نشرت حكومةٌ من الحكومات كتابًا ضدها. فمن الواضح الجلي أن الرؤيا تشير بالتحديد إلى هذا "البيان الأبيض" المزعوم.

يضيف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ويقول:

"إنني أغسله بالماء وهناك شخص آخر يصب الماء."

لقد تعودتُ في باكستان، مثل الخلفاء الآخرين لسيدنا أحمد عليه السلام أنني كلما أردت تحقيقا علميا في موضوع معين استعنت في ذلك بأكثر من عالِم من علماء الجماعة، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك فرص الاستفادة من المكتبات والوسائل الأخرى متاحةً. فكان موضوع معين يُحوَّل إلى عالِم متخصص في مجاله ليساعدني بالتحقيق فيه واستخراج النصوص حسب مقتضى الأمر. أما هنا في لندن فلم تكن هذه الفرص متاحة لي ولكنني حاولتُ قدر المستطاع بتوفيق من الله أن أنجز المهمة حسبما تيسرت الأمور. لقد كان الدعاة الآخرون هنا منشغلين في الأمور المفوضة إليهم لدرجة استحال تكليفهم بالمساعدة في هذا الموضوع. فاخترتُ السيد هادي علي وحده للمساعدة واستخراج النصوص، فكان يستخرجها لي حسبما كنت أشير عليه وأرشده.

* وهو السيد ملك حميد الله خانْ. (الناشر)

والرؤيا تذكر أن هناك شخصًا واحدًا فقط يصب الماء، وهذا أمر غير عادي يحمل معنى خاصًا أشير إليه في الرؤيا. وبالفعل ظل شخصٌ واحدٌ يصب الماء، أي يساعدني لغسل الكتاب طيلة هذه الفترة. والكلمات التالية أيضا ذات معان عميقة ويبدو كأن المجرم قد أُخذ. إذ قال حضرته عليه السلام: إن الكتاب غُسِل تماما ولم يبق منه إلا ورقة بيضاء. لا شك أن الرؤيا قد قدمت صورة مدهشة "للبيان الأبيض" الحكومي، إذ إنه سُمي بـ "البيان الأبيض" ثم لم يبق منه شيء بعد الغسل إلا ورقة بيضاء، إذ قضى الله على كل ما ورد فيه ولم يُبقِ منه شيئا إلا عنوانه.

وبما أنها آية عظيمة مؤيدة لنا فأحببت أن أشارك الجماعة أيضا في هذه المتعة واللذة الروحية. فهل من أحد في العالم يقدر على أن يهزم قومًا يخصهم الإله القادر العالم الغيب والشهادة بتأييداته المتكررة؟ فإلهنا هو وليُّنا وهو معنا، وهو عالم الغيب، وكان يعرف قبل ولادتنا أيضا بما كان سيحدث في المستقبل، واطمئنانًا لقلوبنا كان قد أخبر مسبَّقًا بما سيحدث في المستقبل البعيد أيضا. لذا فليَسخرِ المعارضون وليستهزؤوا كما يحلو لهم بكيفية تحقق الوعود ومواعدها، فالسخرية والاستهزاء قد صارا جزءًا لا يتجزأ من حياتهم، وهذا نصيبهم. أما نحن فنعيش في عالَم نشاهد فيه تحقق الوعود الإلهية كل يوم، وإنها بمثابة ماء الحياة لنا. ليس بوسع معارضينا أن يستوعبوا ظروفا تعيشها الأحمدية ولا يقدرون على أن يتصوروا كيفية حياتنا وسببها.

تحذير من السماء

وبعد ذلك أودُّ أن أحذّر سكان بلدنا الحبيب باكستان من خطر رهيب جدًا. وهذا خطر يشكله الكهنوت المتطرف الذي قد أرسى مخالبه عميقا في كل مجالات الحياة في البلد إلا ما شذ وندر، وصار عصب الحياة هناك يرزح تحت مخالبه الغاشمة. علمًا أن هذا لم يحدث في هذا البلد وحده من بين البلاد الإسلامية، بل هناك مؤامرة مدروسة تقوم بها القوى المعادية للإسلام لتسليط هذا الكهنوت على جميع البلاد الإسلامية. أما فيما يتعلق بباكستان فأودُّ أن أنبّه أهلَها عن هذا الخطر المحدق بهم. ولكنني أؤجل هذا الموضوع إلى خطبة مقبلة وذلك بسبب حادث قد حدث صباح اليوم في باكستان.

لقد رنّ صباح اليوم، وقتَ التهجد، جرسُ الهاتف، فعلمت أن هناك مكالمة طارئة من كراتشي تقول: إن مكتب الأرصاد الجوية في كراتشي الذي يضم خبراء دوليين أيضًا قام بتحذير لا يُتوقع عادة بسبب الوضع الجغرافي لباكستان – فمن هذه الناحية فقد اتخذ الحادث صبغة فريدة من نوعها – جاء في التحذير أن هناك طوفانًا بحريًا مقبلاً إلى شاطئ كراتشي بسرعة متناهية، ويُظَّن أنه سوف يضرب المنطقة الساحلية في الساعة العاشرة صباح يوم الجمعة.

لا شك أن مثل هذا الطوفان يضرب بين حين وآخر منطقة البنغال الشرقي ويروح ضحيته ألوف مؤلفة من الناس ويدمر أملاكا تُقدَّر بالبلايين، أما تصاعد طوفان كهذا إلى شواطئ كراتشي فهو حادث غير معهود وفريد من نوعه. لذا فقد وُضعتِ القوى البحرية على استعداد تام لإسعاف الناس، وذلك إلى جانب دوائر الإسعاف المدني كلها والمتطوعين. فتم إخلاء الناس من المناطق الساحلية في الهزيع الأخير من الليل وفي الصباح الباكر، ولا سيما من المنطقة (Defence Housing Society) المتزامية الأطراف. فتم إخلاء مئات الألوف من سكانها. واستمرت إجراءات الإخلاء في اضطراب وقلق شديدَين لدرجة لم يقدر الناس على أخذ أملاكهم الثمينة أيضا. وبعد خبر الطوفان عندما اتصلتُ هاتفيا بإحدى الأسر

الأحمدية في كراتشي سردوا لي قصة شيقة أثناء وصفهم الرعب الناتج عن خبر الطوفان، فقالوا: عندما أُمِرنا بإخلاء المنطقة على الفور اضطررنا للخروج دون أن نأخذ معنا أي شيء إطلاقا بسبب الرعب السائد، عندها قالت بنتُنا الصغيرة: "قد تركنا رسائل سيدنا أمير المؤمنين أيضا! يجب أن نأخذها معنا." فعُدْنا مسرعين وأخذنا الرسائل لتبقى مصونة عندنا ولو لم نتمكن من أخذ أي شيء آخر.

على أية حال هذه كانت كيفية إخلاء المنطقة. ولكن الله ﷻ بفضله ورحمته غيّر مجرى الطوفان قبل أن يُحدث دمارًا شاملا في أرجاء المدينة، وهكذا زالت الكارثة برحمة من الله ﷻ.

حادث ذو أهمية خارقة

فيما يتعلق بالأحمدية فيحتل هذا الحادث أهمية خارقة بالنسبة لها. وكان أبناء الأحمدية في كراتشي قلقين بشكل خاص، لأن هذه الجمعة تتزامَنُ مع اليوم العاشر من رمضان في باكستان، وإن كان اليوم الحادي عشر من رمضان عندنا في بريطانيا. وكنت قد أخبرت الجماعة فيما سبق في خطبة ألقيتها في مدينة غلاسكو أنني أفهم من بعض الرؤى أنه ليس من المستبعد أن تكون للكشف – الذي أراني الله ﷻ إياه بكلمات: "Friday the 10th" – علاقة بتقويم قمري. وبعد تلك الخطبة كتب إلي الأخ د. طارق رؤيا ممتعة من باكستان يبدو أن لها أيضا علاقة بالموضوع نفسه. يقول د. طارق في رسالته:

"كنت في إحدى المرات قلقًا ومضطربًا جدًّا فتضرعت في حضرة الله ﷻ كثيرًا وابتهلت إليه وقلت: يا ربّ، متى ستنتهي أيام الابتلاء هذه! وما ذا عسى أن يحدث في المستقبل القريب؟ ففي الليلة نفسها شاهدت مشهدًا ولكنني لم أفهمه. وبما أن الله ﷻ يعلِّمكم تأويل الأحلام، وأنتم أعلم بأمور الجماعة أيضًا لذا أكتبها إليكم."

وشاهد الأخ في رؤياه أن هناك في زاوية ورقة شكلا هندسيًا مرسومًا بصورة مربَّعٍ مكتوبٌ أعلاه رقم "١٠"، وكلمة "قمر" في الأسفل منه، وفي الجانب الأيسر هناك شكل مربَّع كبير، وفي داخله كُتبتْ بعض التواريخ أو الأرقام، وتنتهي الأرقام على رقم ٣١، غير أن رقم ٣١ يلمع بشكل خاص.

لم يذكر الأخ الذي شاهد الرؤيا في رسالته أي تأويل لها، ولم يخطر بباله أن لها علاقة بهذا الموضوع. وبما أنني كنت أعرف علاقتها بالكشف القائل: "Friday the 10th"، لذا فهمت منها بوضوح أنه بما أن يوم ٣١ أيار/مايو يوافق يوم الجمعة، وهو اليوم العاشر من شهر رمضان في التقويم القمري، فلا بد أن يحدث في ذلك اليوم حادث له علاقة بالكشف المذكور وبهذه الرؤيا أيضا. فبناء على ذلك كنت قد طلبت مسبَّقًا من السكرتير الخاص أن يراقب بإمعان إذا حدث أمر غير عادي في اليوم العاشر من رمضان. كذلك ظل أحد أقاربنا ميرزا سفير أحمد يستمع إلى الأخبار طوال الليل للغرض نفسه. ولكن الغريب في الأمر أن المكالمة الهاتفية التي كان ينتظرها هو جاءت باسمي أنا خطأً، فاطلعتُ على الأمر قبله.

دروس يضمها الطوفان غير المعهود

على أية حال من المتأكد تمامًا أن الحادث الذي نحن بصدده خارق للعادة وفريد من نوعه ولا يحدث حادث مثله إلى عشرات السنين في تلك المناطق. وأضف إلى ذلك أنه حدث في اليوم العاشر من رمضان، وفي يوم الجمعة على وجه التحديد. إنها لحقائق تاريخية لا تقدر الدنيا على محوها ولا أحد يستطيع إبطالها.

إذن مثُل للعيان خطرٌ رهيبٌ ومخيفٌ ولكنه زال واختفى. والآن بقي أن نرى ماذا يمكن أن نستنبط من هذا الحادث؟ هذا هو الأهم في الموضوع. إنني أرى أن

هناك عدة أمور يمكن استنتاجها من هذا الوضع وأود أن أُخبر الجماعة عنها.

أولاً: أريد أن أوضح أن الرؤيا تنطبق، على ما يبدو، على هذا الحادث، وهذا أمر خارق للعادة بدون شك. ولكن ليس من الضروري أن تتحقق الأنباء مرة واحدة فحسب، إذ تتحقق بعض الإلهامات والكشوف بصورة متكررة وبوضوح أكثر من ذي قبل. وهذا ما يتبين من القرآن أيضا. إذن فهذه الإمكانية أيضا موجودة.

ثانيا: عندما نتأمل في هذا الحادث نتعلم منه دروسا عدة. أولها أن الله ﷻ عندما يقرر أن يبطش بقوم فعنده أساليب شتى للبطش، وكثيرًا ما يبطش الله بقوم من حيث لا يحتسبون إطلاقا.

من الواضح الجلي أن أهل باكستان قد أُخذوا بأنواع عديدة من العذاب بعد الفساد والبلبلة التي قامت ضد الأحمدية عام ١٩٧٤م. منها أن الأمطار غير المعهودة نزلت على جبال جرداء في إقليم بلوجستان مما أسفر عن فيضانات شديدة في إقليم السند، إذ لم يكن في الحسبان إطلاقا أن الجبال الجرداء الكائنة في ذلك الإقليم، سوف تسفر عن فيضانات مدمرة. ولكن ما حدث على صعيد الواقع هو أن مناطق واسعة في إقليم السند تعرضت للخراب والدمار بسبب الفيضانات، وذكرت الجرائد وقائعها في عناوينها العريضة.

"وإن لم يستغفروا ولم يتوبوا إلى الله بل تمادوا في الزهو والسخرية والاستهزاء بعباد الله الأطهار فليعلموا أن هذا الحادث نموذج بسيط لعقاب الله وسوف يعاملهم الله المعاملة نفسها إذا لم يمتنعوا عن تصرفاتهم. وعندما يظهر قدر الله مرة فلا يَدَ تقدر على عرقلته وسدّ سبيله. مما يعني أن رحى قدر الله عندما تبدأ بالدوران مرة فلا أحد يستطيع إيقافها. وهذه دروس وعبر نتلقاها عند التأمل في هذا الحادث."

إذن فعندما ينزل البطش الإلهي بالناس فإنه يأخذهم على حين غرة منهم، لأن لله ﷻ أساليب وطرقا شتى للبطش. إنه إله قادر وغالب على أمره ويُري آيات قدرته. وهو قادر على أن يأمر أي شيء في الأرض بما شاء ومتى شاء ذلك. ومن ثَمّ فالأماكن التي تُعتبر آمنة تتحول إلى مهددة بالخطر. إذن فإذا أراد الله أن يبطش بأحد فلا يأمن بطشه كائنا من كان، وقد بيّن الله ﷻ في آيات عديدة من القرآن الكريم: كيف يمكنكم الأمن من بطشه. إنه قادر ويستطيع أن يأخذكم كيفما شاء، ثم لا تجدون ملاذا ولا مأوى.

كما أن هناك بشرى سارة أيضًا في ظهور الخطر المهيب دفعةً واحدة ثم اختفائه، وهي أن الله لا يفرح بعذاب أحد، وإنما يحذِّر العباد من الأخطار ويعطيهم فرصة للاستغفار والتوبة والرجوع إليه. وإذا فعلوا ذلك فإنه ﷻ لا يرضى بهلاكهم. إنه بطيء في البطش والعقاب، لدرجة يبدو أحيانا أن الأنبياء قد كُذبوا مما يتيح للناس فرصة الاستهزاء بهم. ولكن الله تعالى رغم ذلك كله يمهلهم إلى فترة غير معهودة ويعاملهم بالمغفرة الواسعة. فإذا كان الحادث الذي نحن بصدده يمثّل آية كان الله قد وعد بها من قبل فإنه يحمل للأحمديين وغيرهم بشرى سارة وعظيمة أن فرصة النجاة ما زالت متاحة للقوم. إن الله تعالى قد أرى نموذجًا للأخطار المهيبة، ولكن لو استغفر القوم وتابوا إلى الله، فليس من المستبعد أن يغفر لهم. وهذا ما نود ونبغي، ولذلك ندعو ونبتهل إلى الله ﷻ.

والجانب الثالث للحادث هو أن الإنذار لا زال موجودا. إذ أن الله تعالى قد

نبههم بهذا الحادث، فلو لم ينتبهوا فعليهم أن يدركوا ماذا ستكون معاملة الله معهم. وأن الأمر قد بلغ حدًّا حيث يمكن أن يؤخذوا بأنواع من العذاب والعقوبات على المستوى القومي وبصورة متكررة. وإن لم يستغفروا ولم يتوبوا إلى الله بل تمادوا في الزهو والسخرية والاستهزاء بعباد الله الأطهار فليعلموا أن هذا الحادث نموذج بسيط لعقاب الله وسوف يعاملهم الله المعاملة نفسها إذا لم يمتنعوا عن تصرفاتهم. وعندما يظهر قدر الله مرة فلا يَدَ تقدر على عرقلته وسدّ سبيله. مما يعني أن رحى قدر الله عندما تبدأ بالدوران مرة فلا أحد يستطيع إيقافها. وهذه دروس وعبر نتلقاها عند التأمل في هذا الحادث.

عاقبة قوم لا يعقلون

والآيات التي استهللت بها خطبتي تحتوي على الموضوع نفسه، حيث يقول الله ﷻ: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾.. أي قل لهم يا محمد ﷺ: سيروا في الأرض جيّدًا سوف تعرفون دون استثناء أن عاقبة المجرمين لم تكن حسنة في حال من الأحوال. الذين ارتكبوا الجرائم والظلم والاستبداد، والذين غدتْ حياتهم مجموعة من التعارض الداخلي، إذ يقولون بأفواههم ما لا يفعلون. يعيشون طيلة الحياة منغمسين في الأوساخ، متنكرين بعباءة الحسنات كذبا وزورا. ويقومون – باسم الإسلام – بتصرفات غير إسلامية تماما، فتغدو حياتهم كلها كومة من الأوساخ. فلمثل هؤلاء الناس أجل محدد. ومتى سيأتي أجلهم؟ هذا موضوع آخر. ولكن لو تأملتم ولاحظتم صورهم في مرآة التاريخ لرأيتم أن عاقبتهم لم تكن حسنة أبدا. فقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ أي لا تحزن على ما نمهلهم ليتمادوا في مكرهم ضدك، ولا تظنّن أننا تركنا حبلهم على الغارب، بل تيقّنْ أن عاقبتك هي العاقبة الحسنة لا محالة، وأنهم سوف يواجهون عاقبة لا يحسد عليها. أما الذين يسخرون منك ويستهزئون قائلين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأَخبِرْهم: ﴿عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذي تستعجلون﴾..أي من الممكن أن يكون بعضُ ما تستعجلونه من العذاب والعقاب قد بدأ في ملاحقتكم من حيث لا تشعرون بملاحقته إياكم، وأنه ليس بتاركككم. أما السؤال: لماذا لا يحل بكم فورًا، ولماذا تعطَون هذه المهلة؟ فيرد الله تعالى بقوله: ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرَهم لا يشكرون﴾ ...أي أن الله رحيم بعباده، وبطيء في البطش ولا يفرح بالعذاب. ولكن لو لم ينته المجرمون فسيبطش بهم ويأخذهم بالعذاب والعقاب قبل أن يزعموا أنهم قد أفلحوا في مكائدهم. ولكن قبل أن يحدث ذلك يريد الله تعالى أن يهتدوا فتنزلَ عليهم بركةٌ منه ورحمة. وذلك لأن جميع القوى التي تُستخدم لإنزال العذاب يمكن أن تُسخَّر لإنزال الرحمة أيضا. فيبين الله تعالى هذا الموضوع بوضوح أكثر في سورة نوح حيث يقول سيدنا نوح عليه السلام لربه ما معناه: إني قد نبَّهتُ قومي بكل وضوح، وأخبرتهم أن الماء النازل من السماء يمكن أن يتحول إلى رحمة الله تعالى بدلا من عذابه، وعسى أن يُنزل الله تعالى عليكم غيثًا تستفيدون من بركاته إلى الأبد، وتنالون نِعَم الدين والدنيا، ولكن مواعظي هذه التي قمتُ بها ليلَ نهارَ لم تُفدْهم إطلاقًا. كم هو أليم هذا الوضع الذي يذكره هنا سيدنا نوح عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيلا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ٦-١١)

وبعد هذه الآيات هناك دعاء آخر لسيدنا نوح عليه السلام الذي لم أذكره عمدًا لأنني لا أريد أن أدعو بذلك الدعاء رغم ظلم القوم إيانا. لا شك أنه دعاء مخيف للغاية، ولكن الواضح أن نوح عليه السلام ما كان ليدعو به لو لا أن الله تعالى قد أخبره مسبقا عن عاقبة قومه وسمح له بذلك الدعاء. لا شك أن التاريخ يعيد نفسه، ولكنه لا يعاد بعينه، وفي ذلك دروسٌ وعبرٌ كثيرة ليستفيد منها أولو الألباب إذا أرادوا.

الدعاء لأئمة التكفير صعبٌ

فلا أنا شخصيا أحب أن أدعو على قومنا بأدعية دعا بها سيدنا نوح على قومه، ولا أسمح لأبناء الجماعة أيضا – سواء كانت لهم علاقة بباكستان أو لا – بأن يدعوا على هذا القوم بتلك الأدعية. غير أنه يمكنكم أن تدعوا على أكثر تقدير – لأننا صرنا مضطرين لذلك – أن ابْطش يا ربِّ أئمةَ التكفير من المعارضين، واجْعَلْهم عبرةً لتعتبر بهم الأجيال القادمة. أما فيما يتعلق بالقوم بشكل عام فإنهم مظلومون لجهلهم بحقيقة الأمر. أي إن الأغلبية الساحقة من القوم لا تعرف ولا تنتبه إلى ما يقوله المشائخ المتعصبون لأنهم قاموا بالدعاية الكاذبة وكذبوا وافتروا على الأحمدية إلى حد لا يوصف. لقد أخبرني أحد الأصدقاء أنه كان في نقاش مع بعض الناس في مدينة كراتشي التي سكانُها مثقفون ومتحلون بالعلوم المتداولة في بادي الرأي ويعرفون الجماعة جيّدًا، فقال أثناء الحديث عن كلمة الشهادة: إن كلمة الشهادة كما هو معلوم تشكل قاسمًا مشتركا بين عالَم الإسلام كله، بل هي قاسم مشترك بين المسلمين وغيرهم أيضا، حيث يأمر الله المسلمين أن يدعوا إليها المسيحيين قائلين: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾..أي اشتركوا معنا في الجزء الأول منها على الأقل. ولكن كلمة الشهادة هذه تُمحى اليوم في باكستان من على مساجدنا وتهان إهانةً بغيضة، فهل يسمح لكم الإسلام أن تقوموا بذلك؟ وهل تملكون على فعلكم هذا من برهان؟ فقال أحد من هؤلاء المثقفين: نعم عندنا ما يبرر تصرفنا هذا وهو أنكم تنطقون بالشهادة ولكن تكنّون في قلوبكم شهادة أخرى. إنكم تتفوهون باسم سيدنا محمد ﷺ عند نطقكم الشهادة، ولكن تقصدون في قرارة قلوبكم ميرزا غلام أحمد.

ما أريد توضيحه هنا هو أن للكذب والافتراء أيضا حدودًا، ولكن المشائخ المتعصبين قد تجاوزوا الحدود كلها، وكذبوا وافتروا ضد الجماعة في باكستان لدرجة جعلوا المجتمع كله مسموما وصيَّروا العالِمَ جاهلا، و ظلموا الناس إلى أقصى الحدود وتمادوا في الكذب لدرجة لم يبالوا بعاقبة القوم قط. ويبدو أنه لم يخطر ببالهم إطلاقا إلى ما مسيرهم وما مصيرهم! إنهم يلعبون ويعبثون بالقوم وحياتهم. لقد تعذَّبتْ قلوبُنا من قِبل هؤلاء الناس بحيث لا نتمكن من الدعاء لهم ولو حاولنا لذلك. لا شك أننا ندعو الله ﷻ بشكل عام: اللهم اهدِ بفضلك الأغلبيةَ منهم وأنْقِذْهم وكُفَّ أيديهم من الظلم. إنهم لا يزالون يظلمون بالافتراء على سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ويحاولون تشويه سمعته، فَامْنَعْهم يا ربّ من ذلك. ولكن يجب، إلى جانب ذلك، أن يكون بعضُهم نموذجًا للعبرة لثلج قلوب أبناء الجماعة الذين تعذبوا كثيرا على أيدي هؤلاء، لذا فندعو الله أن يبطش بأئمة الكفر بسرعة ليكونوا عبرة ووسيلةً لنجاة القوم كله! هذا هو المقصود الحقيقي من وراء الدعاء. بل يجب أن يكون الهدف من الدعاء على هؤلاء الأشرار أن تنال الأغلبية من القوم الهدايةَ والنجاةَ.

درس وعبرة

من المؤسف جدًّا أن هؤلاء الناس كما ذكرتُ سابقا، لا يكادون يكفون عن أعمالهم الشائنة، بل يتمادون في التمرد والعدوان يوما فيوما، ولن يستفيدوا على ما يبدو من نموذج العبرة التي أراهم الله الآن، بل سوف يسخرون منه ويضحكون ويستهزئون ويقولون: إن الطوفان قد زال، لذا فإننا نستحق النجاة والحماية، وكأن الحادث كان بمثابة آية مؤيدة لهم. ولكن يجب أن يعرفوا جيدا أنها لا تؤيدهم بل تفيد بأنهم لو لم ينتهوا لَحلَّ بهم بطشُ الله تعالى بحيث يمثل للعيان مشهد: ﴿ولاتَ حينَ مناص﴾. فلن يجدوا مفرا ولا ملاذا، لا أمامهم ولا وراءهم، لا عن يمينهم ولا عن يسارهم.

من المؤكد أيضا أن آيات العبرة كهذه التي يُظهرها اللهُ في بداية الأمر تكون دائما إشارة إلى حدوث أمور أخرى في المستقبل. ليت الناس يستفيدوا منها!! ولكنهم يرفضون عادة بعد مشاهدتها كما جرت عادة الذين سبقوهم. لذا إنني أقوم بأداء فريضتي بتنبيه القوم بكلمات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. لا شك إنه لتنبيه ديني، ومن الممكن ألا يستوعبوا ذلك لأنهم لم يعيشوا في العالَم الذي نعيش فيه نحن الأحمديين، ولم يشاهدوا الإلهَ الذي نشاهده نحن وهو معنا ليل نهارَ وفي كل لحظة من حياتنا كحقيقة ثابتة وحيّة وبصورة متكررة، وبالتالي من الممكن ألا يستوعبوا هذه الأمور لكونها أرفع وأسمى من فهمهم، لذا اخترتُ أن أقدم إليهم هذا التنبيه من منطلق آخر أيضا. أعني أُفضِّل أن أُنذرهم من عاقبة وقوعهم في قبضة الكهنوت لعلهم يفهمون بهذا الأسلوب. وأود أن أخبرهم بذلك مستخدمًا المصطلحات السائدة بشكل عام، وأوضح لهم من خلال دروس يضمها التاريخ أيضا أنه ماذا يكون مصير قوم يتمكن منه الكهنوت. سوف أسلط الضوء على هذا الموضوع في الخطبة القادمة بإذن الله غير أنني في هذه الخطبة أنبههم من الناحية الروحية والدينية، لأن هذا هو منهجنا الحقيقي لذا فأنبههم من هذا المنطلق أولاً سواءً أ فهموا أو لم يفهموا.

المستقبل الباهر للأحمدية

لقد انتقيت في هذا الصدد بعض المقتبسات من كلام سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وهي غنية عن الشرح والتفصيل. يقول حضرته ما تعريبه:

"ترون أنه (سبحانه وتعالى) لم يخذلني رغم معارضتكم المريرة وأدعيتكم عليّ، بل ظل يحميني في كل موطن. وكل حجارة رُميتْ إليّ تلقاها على يده، وكل سهم وُجّه إليّ ردَّه عزّ وجلّ إلى الأعداء. كنت بلا حول ولا قوة فآواني، كنت وحيدا فاحتضنني، ما كنت شيئا يُذكر فأذاع سُمْعتي مقرونة بالإكرام، وجعل ألوفا مؤلفة من الناس أتباعًا لي. ثم يقول في وحيه المقدس: "إذا جاء نصر الله والفتح وتمت كلمة ربك" أي حين يكون إقبال خلق الله، وتتراءى النصرة المالية، عندها سوف يقال للمنكرين: "ألم يتحقق ما كنتم به تستعجلون؟" (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية ج ٢١، ص ٧٩)

ثم يقول حضرته أيضا:

"إن الله تعالى قد أخبرني مرارا وتكرارا أنه يرزقني عظمة خارقة، ويرسخ حبي في القلوب، وينشر جماعتي في العالَم كله، ويجعلها غالبة على الفرق الأخرى كلها، وسينال أبناء جماعتي كمالا في العلم والمعرفة لدرجة يُفحِمون الجميعَ بقوة نور صدقهم والبراهين والآيات. وكل قوم سيرتوي من هذا الينبوع. إن هذه الجماعة سوف تنمو وتزدهر بقوة خارقة حتى تحيط بالعالَم كله. ستكون هناك كثير من العراقيل والبلايا، ولكن الله سوف يزيلها جميعا من الطريق

وسوف يُتِّم وعده. ولقد قال الله مخاطبا إياي: سوف أرزقك بركة تلو بركة حتى إن الملوك سوف يتبركون بثيابك. فأيها المستمعون اسمعوا وعوا واحتفظوا بهذه الأنباء في صناديقكم لأنه كلام الله الذي سوف يتحقق يومًا."

(التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص ٤٠٩-٤١٠)

إذن فهذا هو مستقبل الأحمدية بفضل الله ورحمته، ونجدها في تقدم مستمر إلى الجهة المنشودة. لم تشهد الأحمدية لحظة واحدة أو ثانية واحدة حتى في زمن الابتلاء والبلاء حيث توقفتْ قدمُها من التقدم إلى هذا المستقبل المنير والباهر. إن الجماعة الأحمدية بفضل الله تعالى لم ولن تزال في تقدم مستمر حتى تحت ظلال سيوف المعاندين أيضا، كما ظلت تتقدم تحت وابل من سبابهم وشتائمهم أيضا. المعاندون ظلوا عاكفين على محاولاتهم لتشويه سمعة هذه الجماعة، وراحوا يعذبون أبناءها ويفترون عليها ما استطاعوا، ولكن الله القدير أبى أن يسمح لهذه المحاولات أن تقلِّل من سرعة سير الجماعة إلى ذلك المستقبل الباهر الجميل، بل تسببت هذه المحاولات في دفعها إلى الأمام بسرعة أكثر في كل حين وآن. هذا قدر الله ولن يقدر الأعداء على تغييره.

تحذير لمعاندي الحق

وهناك قدر آخر أيضًا ساري المفعول، وهو من نصيب أعداء الله ﷻ، وسوف يظهر لهم لا محالة عاجلا أم آجلا. فاسمعوا الآن ما قدر الله ﷻ لأعداء الحق والصدق. يقول سيدنا الإمام المهدي عليه السلام:

"التائبون سوف ينالون الأمان، والذين يخافون قبل (حلول) البلاء سوف يُرحمون. أتظنون أنكم ستأمنون من هذه الزلازل أو تُنقذون أنفسكم بحيلكم؟ كلا! عندما ينزل بطش الله سوف تبطل المكائد الإنسانية كلها. لا تظنوا أن الزلازل ضربت أمريكا وغيرها وأن بلدكم في مأمن منها. إنني أرى أنكم سوف تواجهون مصيبة أشد منها. يا أهل أوروبا! لستم في مأمن، ويا سكان آسيا لستم أيضا في أمان، ويا سكان الجُزُر! لن يقدر إلهٌ باطلٌ على إسعافكم. إنني أرى المدن تتهدم وأجد العمران خرابًا. إن ذلك الإله الأحد ظل صامتا إلى مدة، ولقد ارتُكِبَتْ المكروهاتُ أمام عينه ولكنه ظل ساكتا، غير أنه سوف يُري الآن وجهه بالجلال، فليسمعْ من كانت له أذن واعية أَنَّ ذلك الوقت ليس ببعيد. لقد حاولتُ قصارى جهدي أن أجمع الجميع تحت أمان الله تعالى، ولكن لا بد أن يتحقق ما كان مقدَّرا. إنني أقول صدقا وحقا بأن نوبة هذه البلاد أيضًا قد أوشكت أو كادت. سوف ترون زمن نوح عليه السلام أمام أعينكم، ولسوف تشاهدون بأم أعينكم أحداثا وقعت على أرض لوط عليه السلام. ولكن الله تعالى بطيء في الغضب. توبوا لتُرحَموا. وإن الذي يهجر الله ﷻ فإنه دُوْدَةٌ وليس بإنسانٍ، والذي لا يخشى الله فإنه ميّتٌ وليس بحيٍّ."

(حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج ٢٢ ص ٢٦٨-٢٦٩)

فَلَمْ أرَ مِثْلَ العَدلِ لِلمرءِ رَافِعًا ... وَلَمْ أرَ مِثْلَ الجورِ لِلمرءِ وَاضِعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مقام سيّدي وحبيبي، أمير المؤمنين، مرزا مسرور أحمد، أيّده الله تعالى بنصرٍ من لدنه عزيز.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد،

يا سيدي!

يا سيَّدي! مَن ذا يُجيدُ قصيدا ... وهلِ الحمامُ سيُحسنُ التَّغريدا؟؟

لَبِسَ الخلافةَ عبقريٌّ زمانه ... فَسَمَتْ به دونَ الرِّجالِ صُرودا

سُرَّتْ بمسرورٍ خَوافقُ أُمَّةٍ ... لَبِسَتْ لهُ كلُّ البلادِ جديدا

فاليوم عيدٌ، عيدُ كلِّ مزيَّةٍ ... بانت بهِ، أو بايعته عميدا

من نَسْلِ أحمدَ، فالسَّماءُ غَدَتْ به ... تَهَبُ الدُّنى – إثْرَ الحفيدِ – حفيدا

أُخِذَت به – بعدَ الرَّحيلِ* – لواحظٌ ... ومَشَت إليهِ السّابحاتُ نشيدا

أبقاكَ ربِّي شعلةً ضوَّاءةً ... وأصَبتَ دومًا في البعيدِ بعيدا

* إشارة إلى وفاة حضرة إمامنا الغالي، مرزا طاهر أحمد، رحمه الله.

الخلافة في الإسلام

كيف يختار الله الخليفة

بقلم الأستاذ: مصطفى ثابت *

إن موضوع الخلافة في الإسلام موضوع واسع وهام، وسوف أتناول في هذا المقال أحد جوانبه المتعددة، وهو كيف يختار الله تعالى الخليفة. غير أنه يجدر قبل معالجة الموضوع بأن أذكر أن هناك نوعين من الخلافة: الخلافة الربانية والخلافة البشرية، ولعله من الأفضل أن نشرح كلا من هذين النوعين بشيء من التفصيل.

١. الخلافة الربانية

الخلافة الربانية هي ذلك النوع من الخلافة التي يختار الله فيه الخليفة. وينقسم هذا الاختيار بدوره إلى قسمين، اختيار مباشر أو غير مباشر:

أ- الخلافة الربانية بطريق مباشر هي تلك الخلافة التي يختار الله تعالى فيها الخليفة بغير أن يشترك أحد من الناس في عملية الاختيار. ويذكر لنا القرآن الكريم مثالين من هذه الخلافة. المثال الأول هو عن آدم عليه السلام حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣١)

والمثال الثاني هو عن داود عليه السلام حيث يذكر سبحانه في كتابه العزيز: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٧)

وحيث إن الله تعالى يختار الخليفة مباشرة فإنه يُنسَب إليه سبحانه، فيقال إنه خليفة الله. وعلى ذلك فإن كل نبي وكل رسول هو في واقع الأمر خليفة الله، أي أن النبوة هي في حقيقتها خلافة ربانية مباشرة، يختار الله فيها الخليفة، أي النبي بطريق مباشر، دون أن يشترك أحد من الناس في عملية الاختيار هذه. ومن المعروف أن الرسول ﷺ ذكر عن الإمام المهدي أنه: "خليفة الله المهدي".

ب- القسم الثاني من الخلافة الربانية هي تلك التي يختار الله تعالى فيها الخليفة بطريق غير مباشر. ويُطلق على هذه الخلافة في الإسلام اسم "الخلافة الراشدة"، وهي الخلافة التي تلي بعثة النبي أو الرسول، ولذلك فهي تُنسب إلى ذلك النبي أوالرسول، فيقال عن الخليفة إنه "خليفة النبي" أو "خليفة الرسول" أو "خليفة المسيح".

وقد وصف سيدنا رسول الله ﷺ هذه الخلافة بأنها "خلافة على منهاج النبوة".

* كاتب مصري مقيم بكندا

كذلك قال ﷺ إنه لم تكن من نبوة إلا وتَبعتْها خلافةٌ. ونحن نعلم من حديث آخر له أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه ﷺ ليس بعده نبي. ومن هذين الحديثين يتضح لنا أن كلمة "خليفة" هي لفظ يمكن أن يُطلق على النبي وعلى غير النبي على السواء. فالنبي يخلفه خليفة قد يكون نبيا.. أي خليفة يختاره الله بطريق مباشر، كما خلف سليمانَ داودُ عليهما السلام. وقد يخلف النبيَّ خليفةٌ لا يكون نبيا.. أي خليفة يختاره الله أيضا ولكن بطريق غير مباشر. وبهذا المعنى.. فإنه ﷺ لن يخلفه خليفة يكون نبيا، وإنما تخلفه خلافة على منهاج النبوة.

ويذكر الله تعالى في سورة الأحزاب، وفي الآية الثامنة تحديدًا.. أسماء أولئك الأنبياء الذين قال عنهم حصرا إنه أخذ منهم ميثاق النبيين، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٨).

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأنبياء هم من جاءوا على رأس أمة من الأمم وفي نهايتها، فنوح عليه السلام كان على رأس أمته، وفي نهايتها كان إبراهيم عليه السلام كما يقول تعالى عنه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ٨٤).

وبالمثل كان موسى عليه السلام على رأس أمة بني إسرائيل وكان عيسى ابن مريم عليه السلام في آخرها، وأيضا كان سيدنا رسول الله ﷺ على رأس الأمة الإسلامية آخر الأمم، بينما كان المسيح الموعود عليه السلام في نهايتها، كما يقول ﷺ:

"كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها؟" (الدر المنثور للسيوطي، تفسير سورة آل عمران تحت آية: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك...﴾).

وقد تأسست الخلافة بعد جميع هؤلاء الأنبياء الذين جاءوا على رأس كل أمة وفي نهايتها، سواء كانت هذه الخلافة هي خلافة نبوة أو خلافة على منهاج النبوة.

٢. الخلافة البشرية

الخلافة البشرية هي نظام من نظم الحكم السياسية، كالنظم الملكية أو الجمهورية وغيرها، وقد تأسست هذه الخلافة في التاريخ الإسلامي على يد بعض الأسر الإسلامية التي تولت الحكم بعد انتهاء الخلافة الراشدة، أي بعد انتهاء الخلافة على منهاج النبوة، وذلك بعد أن تم اغتيال الخليفة الثالث والرابع رضي الله تعالى عنهما. وبطبيعة الحال فإن هذه الخلافة ليست خلافة ربانية، فالله تعالى لا يختار الخليفة في هذا النظام السياسي.. لا بطريق مباشر.. ولا بطريق غير مباشر. وإنما يُترك نظام الحكم للناس، ويتم تعيين الخليفة، أي الحاكم، حسبما يقرره الناس أو حسبما يُفرض عليهم، سواء كان ذلك بطريق ديمقراطي، أو وراثيا، أو دكتاتوريا أو باغتصاب السلطة عن طريق الانقلابات العسكرية.

ولا يعالج المقال هذا النوع من الخلافة البشرية، فهي لا تشترك مع الخلافة الربانية إلا في الاسم فقط.. أي في لفظ "الخلافة" فحسب. وعلى هذا فإننا لا نتحدث هنا عن كل نظام يُطلق فيه على رئيس الدولة لقب خليفة، سواء كانت هذه الخلافة خلافة أموية أو عباسية أو فاطمية أو عثمانية أو أية خلافة أخرى. كذلك فإننا لن نعالج موضوع الخلافة الربانية التي يختار الله فيها الخليفة بطريق مباشر.. أي الأنبياء والرسل، وإنما سوف نتناول فقط نظام الخلافة الربانية التي هي خلافة على منهاج النبوة، والتي يختار الله تعالى فيها الخليفة بطريق غير مباشر.

أهمية الموضوع

هذا أمر على جانب كبير من الأهمية، ومن الضروري لنا أن نفهم كيف يختار الله الخليفة. وهذا الموضوع مهم بالنسبة لنا نحن المسلمين الأحمديين، لأن الخلافة على منهاج النبوة قد أُعيد تأسيسها في هذه الجماعة المباركة بعد أن بعث الله تعالى عبده الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وحيث إننا نعاهد الخليفة بما هو معروف بعهد البيعة، فإنه من المحتم لنا أن نفهم مقام الخلافة فهما صحيحا.

كذلك فإنه من الضروري أيضا للمسلمين عامة أن يفهموا كيف يختار الله تعالى الخليفة في نظام الخلافة على منهاج النبوة، وهو نظام الخلافة الذي ذكر عنه رسول الله أنه سوف يُعاد تأسيسه بعد أن تتحول الخلافة بعده ﷺ من خلافة على منهاج النبوة إلى حكم متوارث وحكم جبري وحكم عضوض، ثم.. "... ثم تكون

خلافة على منهاج النبوة". (كنز العمال للإمام المتقي الهندي، لواحق الإمارة من الإكمال، ج ٦ رقم الحديث ١٥١١٤ مؤسسة الرسالة ١٩٨٩)

ومما يؤسف له أن الكثيرين ممن دخلوا الإسلام في عهد الخلافة بعد وفاة رسول الله لم يدركوا أن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، وبسبب جهلهم هذا ثاروا على الخليفة الثالث.. سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وكما نعلم فإن الخليفة الثالث والرابع قُتلا بأيدي المسلمين. وإزاء هذا رفع الله تعالى عنهم نعمة الخلافة على منهاج النبوة.. فانتهت هذه الخلافة الراشدة. ولو أنهم فهموا حقيقة مقام الخلافة وأدركوا أن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، لما أخذتهم الجرأة إلى هذا الحد الذي وضع نهاية مأساوية لحياة الخليفة الثالث والرابع، وأصاب وحدة المسلمين بشرخ ظل يزداد عمقا واتساعا إلى يومنا هذا.

أسئلة تحتاج إلى أجوبة

وحيث إن الله تعالى يختار الخليفة بطريق غير مباشر.. عن طريق الناس الذين يبدو أنهم ينتخبون الخليفة.. فلا بد أن تنشأ العديد من الأسئلة في أذهان بعض الناس:

أولا: كيف يمكن أن يُقال إن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة مع أن ظاهر الأمر يقول إن الناس هم الذين ينتخبونه؟

ثانيا: إذا كان الله تعالى هو فعلا الذي يختار الخليفة، فلماذا لا يختاره مباشرة كما يختار الأنبياء والرسل؟

ثالثا: من هو ذلك الذي يختاره الله ليكون خليفة وما هي الصفات التي تتوفر فيه؟

رابعا: لماذا لا يشترك جميع أفراد الجماعة في عملية الانتخاب؟

خامسا: من هم أولئك الذين ينتخبون الخليفة؟

سادسا: هل الخليفة معصوم من الخطأ، وأي نوع من الأخطاء يمكن أن تصدر من الخليفة؟

تجاهل المشكلة لا يؤدي إلى اختفائها

كل هذه الأسئلة هامة وتحتاج إلى إجابة شافية، ولا شك أنها راودت الكثير منا، ومن الواجب أن نثير هذه الأسئلة ونخرجها من حيز الفكر إلى حيز البحث وتقديم الإجابات عليها. ولعل بعض شبابنا ينتابه الخجل فيمنعه من أن يسأل أباه فيقول: "ما هو الدليل يا أبي على أن الله تعالى هو الذي يختار الخليفة"؟ قد يشعر شبابنا بالخجل وقد لا يسألون هذا السؤال، ولكن السؤال لن ينمحي من أذهانهم. قد يكبح الشاب جماح نفسه ويمتنع عن السؤال، وقد يحاول أن يتناسى الموضوع أو يهمله، ولكن السؤال سيظل دائما حائرا في ذهنه، خاصة حين يلتحق بالجامعة أو حين يدرس موضوع الديمقراطية أو يناقشه مع أصحابه وأترابه، أو حين تتم مقارنة بين النظام الإسلامي والنظام الديمقراطي.

وعلى هذا فإن إهمال مواجهة المشكلة لن يقضي عليها ولن يحلها، بل إن إهمال الإجابة على هذه الأسئلة قد يُعرّض شبابنا للخطر، وخاصة الشباب الذين يعيشون في المجتمعات الديمقراطية الغربية. وبالإضافة.. فإنه لا يليق بالمسلم الأحمدي أن يظل جاهلا بإجابة هذه الأسئلة الهامة.

نعم.. إن هذه الأسئلة ليست سهلة، والإجابة عليها أيضا ليست سهلة. ولا بد من إعمال الفكر فيها واستلهام الهداية من الله تعالى ومن القرآن المجيد. إن الكثيرين لم يدركوا حقيقة الإجابة الصحيحة على هذه الأسئلة. بل إن الكثيرين من بين أتباع المسيح الموعود عليه السلام لم يدركوا حقيقة هذه الأمور، وكانت النتيجة أنهم لم يفهموا مقام الخلافة، فحملتهم عواصف الارتداد بعيدا عن سفينة الجماعة.

لذلك فإنه من الضرورة بمكان أن نجد أجوبة مقنعة على الأسئلة التي ذكرناها آنفا، والتي من الطبيعي أن تتوارد على خواطر الكثير من الناس. ولسوف نتناول كلاً من هذه الأسئلة على حدة ونقدم الإجابة عليه.

السؤال الأول

كيف يمكن أن يكون الله تعالى هو الذي يختار الخليفة مع أن ظاهر الأمر يقول إن الناس هم الذين يختارونه؟

طريقان للمعالجة

هناك طريقان للإجابة على هذا السؤال.. الأول هو بيان أن بعض الأعمال يقوم بها الإنسان، ولكن نتائج هذه الأعمال تكون من فعل الله تعالى. والطريق الثاني هو بيان أن هناك أعمالا يقوم بها الله تعالى ولكنها تتجلى وتظهر على أيدي

" وقد وضع الله تعالى نظاما معينا لا بد من اتباعه لكي يتفضل سبحانه باختيار الخليفة. وهذا النظام يقتضي حدوث عدة أمور، أهمها أن يأتي نبي مبعوثا من الله تعالى أولا، فإن الخلافة على منهاج النبوة لا تقوم إلا في إثر بعثة نبي، ثم يتولى هذا النبي إنشاء جماعة من المؤمنين تقوم على الإيمان الصحيح والتقوى الحقيقية والعمل الصالح. ثانيا أن لا يقوم الاختيار على أن يرشح أحد نفسه لمقام الخلافة، لأن من يرشح نفسه لمنصب الخلافة يرى نفسه أفضل من غيره لشغل هذا المنصب، والقرآن الكريم ينهى عن هذا المسلك..... "

الإنسان. وبالطبع فلا بد أن نبرهن على أن الله تعالى هو الذي يقوم بالاختيار، وأن الإنسان الذي يدلي بصوته إنما يفعل ذلك تنفيذا لإرادة الله تعالى.

الأدلة من القرآن المجيد

الدليل الأول: يتناول القرآن المجيد الطريق الأول بالشرح والتبيان، فيؤكد أن هناك أعمالا يقوم بها الإنسان، ولكن نتائج هذه الأعمال تكون من فعل الله تعالى، فيقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٤-٦٥)

حين يتحدث الفلاحون بعضهم مع بعض.. يقولون إنهم سوف يزرعون كذا وكذا هذا العام، وقد يقول أحدهم إن المحصول الذي زرعته هذا العام كان محصولا جيدا، وهكذا. فالفلاح يحرث الأرض، ويزرع البذر، ويروي الزرع، ويتعهده بالعناية والرعاية، ويحصد المحصول، ولكن الله تعالى يقول إنكم لا تزرعون، وإنما نحن الزارعون. أي أن الله تعالى ينسب إلى نفسه العمل الذي قام به الفلاح وهو الزراعة. لماذا؟ لأنه كان من المحتم على الفلاح أن يتبع النظام الذي وضعه الله تعالى للزرع كي ينمو ويحقق ثماره. وإن لم يتبع الفلاح هذا النظام فلن ينمو الزرع، وعلى هذا فإن الزارع الحقيقي هو الله تعالى، لأنه هو سبحانه الذي وضع نظام الزراعة الذي لا بد من اتباعه لكي يجني الإنسان المحصول. وحين يتبع الإنسان النظام الإلهي الذي وضعه الله تعالى فإنه يحقق النتيجة التي يريدها الله تعالى.

من المستحيل لأحد أن يزرع أشجار المانجو في كندا مثلا خلال فصل الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة في بعض المناطق إلى أكثر من أربعين درجة مئوية تحت الصفر. وإن لم يستطع الإنسان أن يبني مكانا يوفر فيه نفس الظروف الجوية، ونفس درجات الحرارة، ونفس درجات الرطوبة، ونفس كمية ضوء الشمس، ونفس نوع التربة الموجودة في الأماكن التي تنمو فيها أشجار المانجو، فإنه من المستحيل أن ينجح في زراعة أشجار المانجو في كندا خلال فصل الشتاء.

وعلى ذلك.. حين يتبع الإنسان نظاما وضعه الله تعالى للوصول إلى نتيجة معينة يرضى عنها الله، فإن تحقق هذه النتيجة هو من فعل الله تعالى وليس من فعل الإنسان. وبالتالي.. لكي نضمن أن يكون الخليفة من اختيار الله تعالى.. فلا بد أن نتبع النظام الذي وضعه الله تعالى لاختيار الخليفة. فإذا تحققت هذه الغاية فإنها تكون من فعل الله تعالى وليست من فعل الإنسان.

وقد وضع الله تعالى نظاما معينا لا بد من اتباعه لكي يتفضل سبحانه باختيار الخليفة. وهذا النظام يقتضي حدوث عدة أمور، أهمها أن يأتي نبي مبعوثا من الله تعالى أولا، فإن الخلافة على منهاج النبوة لا تقوم إلا في إثر بعثة نبي، ثم يتولى هذا النبي إنشاء جماعة من المؤمنين تقوم على الإيمان الصحيح والتقوى الحقيقية والعمل الصالح. ثانيا أن لا يقوم الاختيار على أن يرشح أحد نفسه لمقام الخلافة، لأن من يرشح نفسه لمنصب الخلافة يرى نفسه أفضل من غيره لشغل هذا المنصب، والقرآن الكريم ينهى عن هذا المسلك إذ يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٣). كذلك يجب ألا يتنافس أحد مع غيره للحصول على هذا المنصب، فإن من يتنافس مع غيره للحصول على أصوات الناخبين ويستخدم أسلوب الدعاية لنفسه يقول في واقع الأمر: "انتخبوني أنا ولا تنتخبوا الشخص الآخر فأنا خير منه"، وهذه مقولة إبليس حين رفض الخضوع لآدم عليه السلام زاعما أنه خير منه. ثالثا أن يُسأل الله تعالى أن يتولى بنفسه اختيار

الخليفة وذلك بالدعاء وبالتضرع إليه عز وجل بعد توفر صدق الإيمان والإخلاص في الاستجابة له، فهو الذي قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

فإذا اتخذ الإنسان كل الخطوات الواجبة التي لا بد من اتخاذها، ووفى بكل المتطلبات الضرورية التي من المحتم الوفاء بها، فإن الله تعالى يتفضل عليه ويقوم باختيار الخليفة. ولكن إن لم يتبع الإنسان النظام، الذي وضعه الله تعالى، تمام الاتباع في كل خطواته، فإن الله تعالى لا يتدخل بفضله في عملية الاختيار، وإنما يترك الأمر كله تحت حكم القوانين العامة التي وضعها سبحانه لكافة الخلق وعامتهم دون الخاصة منهم.

الدليل الثاني: أما الدليل الثاني الذي يقدمه لنا القرآن المجيد في هذا الشأن فيؤكد على أن هناك أعمالا يقوم بها الله تعالى، ولكنها تتجلى على أيدي الإنسان. فهي تبدو كأنها من فعل الإنسان، ولكن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى. يقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ (التوبة: ١٤).

هذه الآية الكريمة نزلت عن المسلمين الأوائل الذين كانوا يقاتلون المشركين الذين اعتدوا عليهم، فقد تفاقمت اعتداءات المشركين على المسلمين حتى استثارت غضب الله على المشركين مما استدعى نزول العذاب عليهم. وقد كانت هذه دائما سُنّة الله تعالى حين يزداد غيّ المعارضين والمنكرين لأنبيائه ورسله.. فكان يحل عليهم العذاب، ويأخذهم غضب الله ﷻ.

لقد نزل العقاب الربّاني بقوم نوح، وقوم عاد وثمود، وبفرعون وقومه، وغيرهم من أقوام الأنبياء. وحين زاد غيّ مشركي مكة، وتجاوز عدوانهم كل الحدود، كان لا بد من نزول العقاب الإلهي عليهم. وفي الآية المذكورة يُطمْئِنُ الله عباده المؤمنين بأن عقابه على وشك النزول على أعدائهم ومعارضيهم. ولكن بدلا من إنزال العقاب عليهم مباشرة كما كان الأمر مع أعداء الأنبياء السابقين، فإن الله تعالى سوف يُنزل عقابه على مشركي مكة بواسطة أيدي المؤمنين. فلا بد للمؤمنين أن يقاتلوا المشركين المعتدين حتى يعذبهم الله بأيدي المؤمنين. إذن فالفعل هو فعل الله تعالى، ولكن هذا الفعل الإلهي سوف يتجلى على أيدي المؤمنين. وهذا يوضح بجلاء أن هناك أعمالا من فعل الله تعالى ولكنه يظهرها على أيدي المؤمنين الذين يطيعونه ويقومون بتنفيذ أوامره. فلو لم يقم المؤمنون بطاعة الله تعالى، ولو امتنعوا عن محاربة المشركين، فما كان الله ليظهر فعله على أيديهم، وإنما يتجلى فعله على أيدي أحبائه المخلصين الذين يتبعون أوامره، ويقومون بتنفيذ وصاياه وتعاليمه. يقول تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٨).

هنا يوجه الله تعالى حديثه للمؤمنين ويؤكد لهم أنهم ليسوا من قتل المشركين المعتدين، وإنما ينسب الله تعالى إلى نفسه هذا الفعل. ومن المعروف طبعا أن المؤمنين هم الذين قاموا بقتال أهل مكة، ولكن الله تعالى يقول إنه هو الذي قتل هؤلاء المعتدين. فلماذا نسب الله تعالى الفعل إلى نفسه مع أنه كان يبدو أن المؤمنين هم الذين قاموا بهذا العمل؟ لأن المؤمنين حين قاموا بهذا العمل إنما قاموا به تنفيذا لأمر الله تعالى، واتبعوا كل ما أمر الله به لتحقيق هذا الأمر، وعلى ذلك فإن الله تعالى بنفسه قد حقق نتيجة هذا العمل، ولا يكون المؤمنون سوى أداة لتنفيذ إرادة الله عز وجل.

هناك الكثير من الأدلة والبراهين في القرآن المجيد، وبدراسة تلك الدلائل يتبين بوضوح أنه حين يقوم الإنسان بعمل ما.. طاعة لله تعالى.. ومتبعا لأوامره وتعاليمه، فإن هذه الأعمال التي يبدو أن الإنسان يقوم بها.. هي في واقع الأمر من فعل الله تعالى. ولا يكون الإنسان في هذه الحالة سوى وسيلة يتخذها الله تعالى لجلاء إرادته وتحقيق مشيئته. وهذه هي نفس الوسيلة التي يتخذها الله تعالى في اختيار الخليفة، فهو سبحانه يتخذ الإنسان وسيلة لإظهار إرادته وإقرار مشيئته.

السؤال الثاني

إذا كان الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، فلماذا لا يختاره مباشرة كما يختار الأنبياء؟ إن الأنبياء لا ينتخبهم أحد، ولا يتخذ الله عز وجل الإنسان وسيلة لاختيار النبي.. فلماذا لا يتبع نفس الأسلوب في اختيار الخليفة؟

الرحمانية والرحيمية

لكي نفهم الإجابة على هذا السؤال لا بد من أن نفهم معنى صفتين من الصفات الإلهية.. هما صفة "الرحمن" وصفة "الرحيم".

إن صفة "الرحمن" هي صفة رحمة عامة لجميع المخلوقات الحية، وهي الصفة التي يُظهر بها الله تعالى بركاته وإنعاماته على الإنسان دون أي اعتبار لأعماله.. أي سواء كان الإنسان مؤمنا أم كافرا، إن كان يعبد الله أم يكفر بوجوده، إذا كان مستحقا لتلقي نعمه أم غير مستحق، فإن الله تعالى ينعم على الإنسان بخالص فضله من خلال صفته "الرحمن". فالحياة والضوء والهواء مثلا يوفرها الله تعالى للصالح والطالح، وللمؤمن والكافر، وللمطيع والعاصي. إن الإنسان لم يخلق الهواء ولم يعمل عملا يستحق به نوال هذه النعمة، ولكن الله تعالى برحمانيته يوجد له الهواء حتى قبل وجود الإنسان. فهو سبحانه يتجلى على الناس أجمعين بنعمه وأفضاله العامة من خلال صفته "الرحمن".

أما صفة "الرحيم" فهي ليست صفة عامة للجميع، وإنما تقتضي أن يقوم الإنسان بعمل ما حتى تتجلى عليه نعمة الله وفضله. وتنطوي تحت صفة "الرحيم" صفات كثيرة تشترك كلها مع صفة "الرحيم" في وجوب أن يقوم الإنسان بعمل ما ليتجلى الله عليه بهذه الصفات. فالرازق مثلا صفة رحيمية، تقتضي أن يسعى الإنسان لطلب الرزق فيتجلى الله عليه بصفة الرازق. والغفور أيضا صفة رحيمية، تقتضي أن يتوقف الإنسان عن فعل المعصية ويندم عليها ويطلب المغفرة من الله تعالى، فيتجلى عليه سبحانه بصفة الغفور. غير أن الله تعالى هو مالك يوم الدين، وهو قد يغفر لمن يشاء من عباده حتى وإن لم يطلب ذلك العبد المغفرة، ولكن في هذه الحالة لا تنطوي صفة الغفور تحت صفة "الرحيم" ولكنها تنطوي تحت صفة "الرحمن".

وهناك أمور لا يجليها الله تعالى إلا لعباده المؤمنين، وتظهر من خلال صفته "الرحيم"، وهي تقتضي بطبيعة الحال أن يكون الإنسان مؤمنا أولا، وإلا فإن تلك الصفات الإلهية لا تتجلى عليه، وإن لم يقم الإنسان المؤمن بالأعمال التي يقتضيها ظهور صفة معينة، فإن هذه الصفة لا تتجلى عليه من خلال رحيمية الله تعالى. وعلى هذا.. فإن اختيار النبي يتم عن طريق صفة الله الرحمانية. والسؤال هنا هو: متى يختار الله تعالى نبيا؟ إنه يختار النبي عندما تكون هناك حاجة لوجود ذلك النبي، والحاجة تكون عندما تمتلئ الأرض ظلما وجورا، فيختار الله نبيا ليملأها قسطا وعدلا. حين ينتشر الفساد والضلال في الأرض.. لا يكون هناك أحد مستحقا لنوال النعمة والفضل من الله، ولكنه سبحانه بخالص فضله، ودون استحقاق من الإنسان، يتجلى بصفة "الرحمن" فيختار نبيا لهداية الناس، ولذلك فهو يختار النبي اختيارا مباشرا من خلال صفة الرحمانية.

ولكن بعد أن يقوم النبي بمهمته ويجمع المؤمنين على طريق الله المستقيم ويؤسس جماعة المؤمنين في الأرض، فإن الله تعالى يتجلى على هؤلاء المؤمنين بصفته "الرحيم" ويختار لهم الخليفة.. لمن؟ للمؤمنين الذين يؤمنون ويعملون الصالحات. هذان هما الشرطان الواجب توافرهما لكي يختار الله الخلافة الربانية، إذ يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ (النور: ٥٦)

أي أن الوعد ليس عاما مطلقا، بل هناك شرطان ينبغي توفرهما أولا ليتحقق الوعد ويختار الله الخليفة. وإذا انتفى وجود هذين الشرطين أو حتى إذا غاب أحدهما.. فإن وعد الله باختيار الخليفة لا يتحقق. هذان المتطلبان هما الإيمان والعمل الصالح. الإيمان وحده لا يكفي، والعمل الصالح بغير إيمان لا قيمة له. أما الإيمان فهو يعني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله (جميع رسله) واليوم الآخر والقدر خيره وشره. ولكن.. ما هو ذلك العمل الصالح الذي تقتضيه إرادة الله تعالى حتى يتجلى على المؤمنين بصفته الرحيمية ويختار لهم الخليفة؟ إن الإجابة على هذا السؤال موجودة في نفس الآيات التي جاءت في سياقها آية الاستخلاف.

ما هو المقصود بقوله "وعملوا الصالحات"؟

يقول تعالى في سورة النور:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ **يُطِعِ** اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا **طَاعَةٌ** مَّعْرُوفَةٌ ط إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ **أَطِيعُوا** اللهَ وَ**أَطِيعُوا** الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ ط وَإِنْ **تُطِيعُوهُ** تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ط يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَ**أَطِيعُوا** الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٢ — ٥٧)

لقد جاء الوعد بالاستخلاف في الآية رقم ٥٦ من سورة النور.. وفي الآيات الأربع التي سبقتها والآية التي تلتها.. جاء ذكر الطاعة ومشتقاتها سبع مرات كما يلي: أطعنا، يطع، طاعة، أطيعوا، أطيعوا، تطيعوه، وأطيعوا. ولم تأت في الكتاب العزيز بأكمله مشتقات لفظ "الطاعة" سبع مرات في ست آيات متتالية إلا في هذا الموضع، وذلك لأن هذا الموضع يحتوي على آية الاستخلاف التي تنص على ضرورة الإيمان والعمل الصالح لكي يقيم الله سبحانه الخلافة الراشدة. وكأن الله تعالى يريد أن يؤكد أن الأعمال الصالحة هي في تحقيق الطاعة.. الطاعة لله، والطاعة للرسول، ثم بالتالي الطاعة للخليفة الذي يختاره الله تعالى. أما طاعة الله وطاعة الرسول فهي متضمنة في صفة ﴿الذين آمنوا منكم﴾، وعلى هذا تكون الأعمال الصالحة هي طاعة الخليفة الذي يختاره الله تعالى. فبدون هذه الطاعة لن تكون هناك أعمال صالحة، وإن لم تكن هناك أعمال صالحة، فلن تكون هناك خلافة يختارها ويستخلفها الله تعالى. فعندما يُفقَد أحد الشرطين الواجب توافرهما لتحقق الوعد، أو إذا فقدا كلاهما، فلن يقيم الله الخلافة الربانية في الأرض.

لقد رأينا في المرحلة الأولى من الإسلام كيف أدى عدم الطاعة للخليفة إلى حرمان المسلمين من نعمة الخلافة الربانية. لقد كانوا مؤمنين.. يؤمنون بالله ويؤمنون برسوله، ولكنهم فشلوا في عمل الصالحات. لقد فشلوا في أداء الطاعة الواجبة للخليفة، وكانت النتيجة أن رفع الله تعالى عنهم نعمة الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث والرابع، وبذلك انتهت نعمة الخلافة على منهاج النبوة، أي الخلافة الربانية الراشدة.

إن اختيار الله عز وجل للخليفة نعمة عظمى، وهي لا تتنزل إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإذا لم يقم المؤمنون بواجبات هذه الطاعة.. فلن يكون الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، ولن يتجلى الله على المؤمنين بنعمة الخلافة من خلال صفته "الرحيم"، فهي نعمة خاصة.. لا يُنعم بها الله تعالى إلا على المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

" إن اختيار الله عز وجل للخليفة نعمة عظمى، وهي لا تتنزل إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإذا لم يقم المؤمنون بواجبات هذه الطاعة.. فلن يكون الله تعالى هو الذي يختار الخليفة، ولن يتجلى الله على المؤمنين بنعمة الخلافة من خلال صفته «الرحيم»، فهي نعمة خاصة.. لا ينعم بها الله تعالى إلا على المؤمنين الذين يعملون الصالحات. "

السؤال الثالث

من هو ذلك الذي يختاره الله ليكون خليفة، وما هي الصفات التي تتوفر فيه؟

إن الإجابة على هذا السؤال تأتي أيضا من القرآن المجيد حيث أمرنا الله تعالى أن ندعو بأن يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأن يجعلنا للمتقين إماما. فماذا يعني قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٥)

إنه يعني ببساطة: واجعل لنا إماما من بين المتقين، أو: واجعل منا إماما للمتقين.

والسؤال الذي ينشأ الآن هو: هل يسمع الله عز وجل هذا الدعاء أم لا يستجيب له؟ بالطبع هو يسمع ويستجيب، ولكن بشرط أن يكون الداعون من المؤمنين وأن يكونوا من الطائعين للخلافة.

حين ينتقل الخليفة إلى جوار ربه، تصيب جماعةَ المؤمنين صدمةٌ شديدةٌ ويأخذهم خوف عظيم. إن وفاة الوالد في العائلة يصيب أفراد عائلته بحزن كبير، كذلك فإن وفاة الأب الروحي لجماعة المؤمنين يصيبهم بألم وحزن كبيرين، وينتاب الجميع خوف وقلق وتساؤل: هل سيستمر الله تعالى في إنزال فضله عليهم باختياره خليفة لهم؟ إن القلق يساورهم، والحزن يعصف بهم، ويسائلون أنفسهم: هل كانوا مطيعين للخليفة أم أنهم كانوا من العاصين الفاسقين؟ إنهم جميعا يتجهون إلى الله تعالى، ويدعونه بحُرقة وقلب مكلوم ونفس حزينة، ويتوبون إليه من كل معاصيهم وذنوبهم، ويرجونه أن يغفر لهم أخطاءهم وسيئاتهم، ويتوسلون إليه أن يهديهم ويوفقهم، ويدعونه قائلين: يا رب أَقِمْ لنا الشخص الذي تريد أنت أن يكون خليفة لنا.

وعلى هذا فإن إقامة الخلافة ليست من فعل الناس. إنها من فعل الله عز وعلا، وليس الناس سوى وسيلة لدى الله تعالى يُظهر سبحانه من خلالهم مشيئته. إنهم يدلون بأصواتهم فقط، تماما كما يلقي الفلاح بالحَب في التربة، ولكن الزارع الحقيقي هو الله تعالى.. تماما كما يتسبب الوالدان في مجيئ الأولاد إلى الدنيا ولكن الله هو الذي يخلقهم، وتماما كما قام المسلمون الأوائل بقتال المشركين المعتدين، ولكن عذاب الله نزل على هؤلاء المشركين بأيدي المؤمنين.

الغرض من الدين

إن المؤمنين يدعون الله تعالى أن يوفق قادتهم الذين سوف يقومون بانتخاب الخليفة أن يدلوا بأصواتهم لمن يريد الله تعالى أن يجعله خليفة لهم. وهنا ينبغي لنا أن نسأل سؤالا: ما هو الغرض من الدين؟ ليس الغرض من الدين فقط هو أن يكون المرء إنسانا فاضلا وأن يعيش حياة طيبة ويحيى في مجتمع سعيد. إن الغرض الأساسي من الدين هو أن يقيم الإنسان علاقة مع الله تعالى، وأن يكون هناك اتصال بين الخالق والمخلوق. وإن لم يحقق الدين هذا الغرض فلا حاجة للإنسان لمثل هذا الدين، وإنه لدين ميت. لا قيمة لدين لا يقيم اتصالا بين الإنسان والله تعالى. والإسلام دين حي، ومن خلال الإسلام وحده يمكن للإنسان أن يقيم هذه العلاقة بينه وبين خالقه.

ووجود هذه العلاقة يقتضي أنه حين يكون الإنسان في كرب وحزن وقلق.. حين يحيط بالإنسان خطب جلل وتلم به مصيبة خطيرة، حين يكون الإنسان في حاجة إلى هداية الله تعالى فيدعوه ويناديه راجيا أن يسمع دعاءه، فلا بد أن يسمع الله هذا الدعاء ويهب عبده الهداية التي يطلبها، فالمثل يقول: "الصديق عند الضيق"، والقرآن يقول: ﴿اللهُ وَلِيُّ

"إن الغرض الأساسي من الدين هو أن يقيم الإنسان علاقة مع الله تعالى، وأن يكون هناك اتصال بين الخالق والمخلوق. وإن لم يحقق الدين هذا الغرض فلا حاجة للإنسان لمثل هذا الدين، وإنه لدين ميت. لا قيمة لدين لا يقيم اتصالا بين الإنسان والله تعالى. والإسلام دين حي، ومن خلال الإسلام وحده يمكن للإنسان أن يقيم هذه العلاقة بينه وبين خالقه."

الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (البقرة: ٢٥٨). وليس هناك شيءٌ أشد ألما على المؤمنين من وفاة خليفتهم.. وفاة إمام المتقين؟ إن أكثر الناس تقوى وصلاحا قد غاب عن جماعة المؤمنين، وصارت هذه الجماعة كالجسد الذي فقد رأسه. فماذا يفعل المؤمنون؟ إنهم يلقون بأنفسهم على عتبات ربهم، ويتوسلون إليه: ربنا أَعِنّا وأَغِثْنا وَاهْدِ أولئك الذين يُدلون بأصواتهم لكي يختاروا الشخص الذي تريد أنت أن تجعله خليفة لنا.

عند ذلك يتجلى الله بصفته "الرحيم" ويقيم مرة أخرى الخلافة التي وعد بها. إنه يهدي المؤمنين ويخبرهم عن الشخص الذي يريد هو أن يقيمه. وكل ما يفعله هؤلاء هو أنهم يدلون بأصواتهم لهذا الشخص الذي تقتضي المشيئة الإلهية أن تجعله خليفة في الأرض. إنهم يدلون بأصواتهم فقط، ولكن اختيار ذلك الشخص يتم من قِبَل الله تعالى.

السؤال الرابع

لماذا لا يشترك جميع أفراد الجماعة في عملية الانتخاب؟

إن انتخاب الخليفة ليس أمرا مفتوحا لجميع أفراد الجماعة، ولا يشترك فيه كل شخص وأي شخص، ولا كل من أتم السادسة عشر أو الثامنة عشر من العمر، أو من كان يتمتع بمواطنة هذا البلد أو ذاك. لا! إن نظام انتخاب الخليفة يختلف عن نظام الانتخاب في الديمقراطيات الغربية.

إن جماعة المؤمنين تدعو الله تعالى أن يجعل لهم من المتقين إماما، وأن يجعل منهم للمتقين إماما. وإمام المتقين هو أشد الناس تقوى وأكثرهم صلاحا، وعلى هذا فإن من يُدلي بصوته لإمام المتقين هذا لا بد أن يكون هو نفسه من المتقين. إن التماسا يُرفع إلى الله تعالى لكي يختار سبحانه لجماعة المؤمنين خير الناس، فمن الواجب أن يرفع خيرُ الناس هذا الالتماس إلى الله تعالى، تماما كما اختار موسى عليه السلام سبعين رجلا من بين خير الناس من قومه لميقات ربه. ولذلك فإن صفوة المتقين وحدهم

"وكل ما يفعله هؤلاء هو أنهم يدلون بأصواتهم لمن اختاره الله تعالى إماما للمتقين."

هم الذين يستحقون شرف أن تتجلى إرادة الله على أيديهم. صفوة المتقين فقط هم الذين يتصل الله تعالى بهم ويخبرهم عمن يريد أن يجعله خليفة لهم. إن هؤلاء الذين يشتركون في انتخاب الخليفة لا بد وأن يكونوا قد بلغوا أعلى مراتب التقوى، وهم بذلك يكونون على صلة بالله تعالى حتى إذا ما دعوه ليتجلى عليهم بمشيئته، فإنه يتجلى عليهم فعلا بمشيئته، ويختار لهم إمام المتقين، ويخبرهم عن هذا الاختيار، ويجعل قلوبهم وأفكارهم تميل نحوه، وكل ما يفعله هؤلاء هو أنهم يدلون بأصواتهم لمن اختاره الله تعالى إماما للمتقين.

الانتخابات الديمقراطية وانتخاب الخليفة

إن عملية انتخاب الخليفة تختلف تماما عن نظم الانتخاب في الديمقراطيات الغربية التي تقوم فيها الأغلبية من الناس باختيار من يمثلهم. فالأساس الذي تقوم عليه الانتخابات الديمقراطية هي أصوات الأغلبية، وتعتمد هذه الانتخابات على الناس في عملية الاختيار. أما الأساس الذي يقوم عليه انتخاب الخليفة فهو التقوى، ويعتمد هذا الانتخاب على الله تعالى في عملية الاختيار. وبالإضافة.. فإن الانتخابات الديمقراطية تقوم على ترشيح الأفراد أنفسهم لكي ينتخبهم الناس، وهذا يخالف أمر الله تعالى الذي نهى عن أن يزكي الإنسان نفسه، كما يقول: ﴿لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾. كذلك فإن لُب الانتخابات الديمقراطية يعتمد على الدعاية الانتخابية التي يقوم بها كل من يرشح نفسه لها، وهو يعتقد أنه خير من الآخر الذي رشح نفسه أيضا، فهو يقول بلسان حاله وقاله كما قال إبليس من قبل: "أنا خير منه".

لا تقوى.. لا خلافة ربانية

إن لم تقم عملية الانتخاب على التقوى فإن النظام كله ينهار ولا يقوم، ولا يمكن أن تتجلى إرادة الله تعالى لقوم حادوا عن طريق التقوى. فبدون التقوى لا يشترك الله تعالى في عملية الانتخاب، ويُرَد الأمر كله إلى الناس ليختاروا من يريدونه حسب

أغلبية الأصوات. وعلى هذا فليس كل من ينتخبه الناس يكون بالضرورة من اختيار الله تعالى. لا بد أن يتم اختيار هذا الشخص حسب النظام الإلهي الذي وضعه الله تعالى حتى يرضى أن يشترك سبحانه مع المؤمنين في عملية الانتخاب. فإذا وُجدت جماعة المؤمنين التي أقامها مبعوث السماء بأمر من الله تعالى، وإذا ارتبطت جماعة المؤمنين هذه برباط التقوى والتزمت بشرطي الإيمان الصحيح والقيام بالأعمال الصالحة، وإذا غابت تماما كل إجراءات التنافس والترشيح لمنصب الخليفة، وإذا لم يقم أي فرد بعمل أية دعاية انتخابية لنفسه أو لغيره، وإذا اشترك أكثر الناس تقوى من بين المؤمنين في عملية الانتخاب، وإذا لم يُدلِ هؤلاء بأصواتهم إلا بعد أن يخروا على عتبات الله تعالى ويسألوه الهداية والتوجيه، وإذا تم بذلك انتخاب أكثر الناس تقوى ليكون إمام المتقين، فحينئذ.. وحينئذ فقط.. يكون هذا الشخص من اختيار الله تعالى.

أما انتخاب رؤساء الدول وقادة العالم فإنه لا يتم بهذا النظام الرباني، وبالتالي فإن مثل هذا الشخص لا يكون منصورًا من قِبَل الله تعالى. نعم قد يكون انتخابه ديمقراطيا، ولكنه ليس ربانيا، لأنه لم يتم حسب النظام الرباني. فمثلا إن هتلر في واقع الأمر جاء إلى السلطة عن طريق الانتخاب الديمقراطي الذي لم يتم حسب النظام الرباني، فلم يكن للتقوى وجود في ذلك الانتخاب، وعندما تغيب التقوى.. يغيب فضل الله أيضا.

السؤال الخامس

من هم أولئك الذين ينتخبون الخليفة؟

الهيئة الانتخابية

إن الأمر كله يعتمد على التقوى. وإن لم توجد التقوى فلا وجود لمشاركة الله تعالى في هذه العملية الانتخابية. وهنا ينشأ سؤال آخر: من هم أولئك الذين يشتركون في انتخاب الخليفة؟ وكيف نكون على يقين أنهم قد بلغوا ذلك المقام العالي من التقوى؟ من أجل هذا هناك لجنة معينة تسمى "الهيئة الانتخابية" وهي التي تنال شرف الاشتراك في عملية انتخاب الخليفة. ليس لها عدد معين، ولكن الشرط الوحيد الذي يجب أن يتوفر في أعضائها هو أن يكونوا على مقام عظيم من تقوى الله.

حينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى اجتمع زعماء المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين كانوا على قمة التقوى.. واختاروا أبا بكر ليكون الخليفة الأول. وقبيل وفاته، راح أبو بكر يسأل ويستشير كل من يعرف فيه الصلاح والتقوى، وكأنه قد قام باستفتاء بين أولي التقوى من المهاجرين والأنصار، حتى اطمأن أن جميع هؤلاء المؤمنين المتقين يرتضون عمر بن الخطاب ليكون من بعده إماما للمتقين، وبعد أن استخار الله تعالى أوصى لعمر بالخلافة من بعده. وعند وفاته.. أمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بتكوين الهيئة الانتخابية التي تتولى التصويت لإمام المتقين، وكانت تتكون من ست أفراد من صحابة الرسول ﷺ كانوا من بين العشرة المبشرين بالجنة، وتوفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم.

وفي زمن إحياء الإسلام.. بعد بعثة الإمام المهدي عليه السلام.. أمر الخليفة الثاني أيضا سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه بتكوين الهيئة الانتخابية التي تتولى الاشتراك في عملية انتخاب الخليفة. وتتكون هذه اللجنة مما يلي:

١) صحابة المسيح الموعود عليه السلام وأفراد أسرته.

٢) النظّار والوكلاء الذين يتولون أعلى المناصب القيادية خدمة لأمور جماعة المؤمنين.

٣) أولئك الذين أوقفوا حياتهم لخدمة الإسلام، وقضوا على الأقل ثلاثين عامًا في خدمة الإسلام.

٤) أمير الجماعة في كل قطر من أقطار العالم يوجد به مركز من مراكز الجماعة.

٥) بعض أهل الصلاح والورع من أهل العلم والرأي الذين يختارهم الخليفة. وفي زمن الخلافة الرابعة كان جميع صحابة المسيح الموعود عليه السلام قد انتقلوا إلى رحمة الله تعالى، بينما ازداد عدد أفراد أسرة المسيح الموعود عليه السلام زيادة واسعة تحقيقا لوعد كان قد تلقاه عليه السلام من الله تعالى، وكذلك فقد انتشرت مراكز الجماعة في أكثر من ١٧٠ دولة من دول المسكونة. ولذلك فقد أدخل الخليفة الرابع رحمه الله تعالى بعض التعديلات على تكوين الهيئة الانتخابية. واقتصر اشتراك أفراد أسرة المسيح الموعود عليه السلام على هؤلاء الذين نذروا حياتهم لخدمة الدين، ويشغلون مناصب قيادية في مؤسستي صدر أنجمن

والتحريك الجديد.

ويتم إصدار شهادات خاصة تُرسل إلى أعضاء الهيئة الانتخابية تخبرهم بشرف تعيينهم في هذه الهيئة التي لا تقوم بأي عمل عام إلا بعد انتقال الخليفة إلى الرفيق الأعلى. فيجتمع أعضاؤها سويا، ولا بد أن يجتمعوا في مركز الخلافة حيث جثمان الخليفة الراحل. ولا يجوز لأحد أن يرسل صوته عن طريق الهاتف أو الفاكس أو الانترنت، بل لا بد له من الاجتماع مع بقية أعضاء الهيئة الانتخابية، فيكون بذلك في صحبة المتقين. وهناك سوف يعاين بنفسه تأثير فاجعة وفاة الخليفة، وسوف يعاني من الألم والحزن ما يساعده على التقرب من الله تعالى. هناك سوف يدعو ويدعو ويدعو: يا رب.. اهدني يا رب.. لأنتخب الشخص الذي تريد أنت أن تجعله إماما للمتقين.

وبطبيعة الحال.. لا يمكن القطع بأن جميع من يشترك في هذه الهيئة الانتخابية لا بد وأن يكون بالضرورة قد وصل إلى المراتب العليا من التقوى. ومن جانب آخر.. ليس هناك إلزاما على الله تعالى أن يتصل بكل فرد من أفراد الهيئة الانتخابية، ولكنه حتما يتصل بالأغلبية منهم. وقد لا يكون كل فرد في هذه الهيئة الانتخابية قد نجح بالضرورة في إنشاء علاقة خاصة بالله تعالى، ولكن لا بد أن تكون الأغلبية العظمى، وليس ٥١ في المائة من الأصوات، قد حققت المستوى المطلوب من التقوى، ونجحوا في نوال فضل الله عليهم بأن أقام معهم علاقة خاصة. وإن لم يتوفر هذا في الأغلبية المطلقة، فلا يمكن أن تكون هذه الجماعة هي جماعة المؤمنين التي يتوفر فيها شرطا الإيمان والعمل الصالح. وبالتالي فإن غياب التقوى يترتب عليه أن تغيب مشاركة الله تعالى في عملية الانتخاب.

من الذي يختار؟

إن هؤلاء المتقين الذين يشتركون في الهيئة الانتخابية يسألون الله تعالى عمن يريد أن يختاره، والأغلبية العظمى منهم يتلقون منه سبحانه ما يشرح صدورهم ويوجههم للتصويت لمن اختاره عز وجل لمنصب الخلافة، وكل ما يفعلونه هو أنهم يدلون بأصواتهم من أجله. فمن الذي قام بالاختيار؟ في الحقيقة إنه الله تعالى.

ولنأخذ هنا مثالا.. لنفترض أن لديك صحنًا يحتوي على ثمرات من الفاكهة.. فهو يحتوي على برتقالة، وتفاحة، وثمرة من الموز، وأخرى من الكمثرى. وطلب منك أحدٌ أن تختار إحدى ثمار الفاكهة من الصحن لتقدمها لأبيك. وكان من الممكن أن تقدم لأبيك ما تختاره أنت من ثمار الفاكهة، ولكنك بدلا من ذلك ذهبت إلى أبيك وسألته أيا من ثمار الفاكهة يريد. فأشار الأب إلى ثمرة التفاح، فتناولت أنت التفاحة بيدك وقدمتها له. فمن الذي قام بالاختيار هنا؟ هل هو اختيارك أنت الذي قدمت الفاكهة، أم هو اختيار أبيك الذي أطلعك على اختياره؟

إن هذا هو ما يحدث تماما في عملية انتخاب إمام المتقين.. ولكن هذا لا يحدث في انتخاب قادة الدول ورؤساء الجمهوريات، ولا في انتخاب أي شخص في أي تنظيم سياسي أو اجتماعي أو ديني غير جماعة المؤمنين، إنما يحدث فقط عند انتخاب الخليفة، فهو الانتخاب الوحيد الذي يقوم على التقوى، وتتوقف هذه التقوى على مدى عمق العلاقة بين الإنسان وخالقه. وعلى ذلك.. فإنه سبحانه هو الذي يقوم بالاختيار، وهو الذي يقرر اختيار الخليفة.

شرف عظيم.. وتحذير كبير

لعله من الجدير الإشارة هنا إلى أن الله تعالى قد أضفى على المؤمنين شرفا عظيما بأن جعلهم يشتركون معه في عملية اختيار الخليفة. أما في حالة اختيار النبي.. فلم يكن للمؤمنين وجود، ولذلك فإنه سبحانه يختار النبي بنفسه.. مباشرة.. دون أن يشترك معه أحد. ولكن بعد أن يؤدي النبي مهمته، ويقوم بإنشاء جماعة المؤمنين، فإن الله تعالى يُضفي عليهم هذا الشرف العظيم بأن يدعوهم للاشتراك في عملية اختيار الخليفة. ورغم أن الخيار النهائي هو له سبحانه، إلا أنهم يتباركون بالاشتراك في هذه العملية. وقد كان من الممكن أن يختار الله الخليفة مباشرة دون اشتراك أحد، وكان من الممكن إهمال وجود جماعة المؤمنين كلية، ولكنها محبة الله لهذه الجماعة التي تأبى إلا أن ينعم الله عليهم بهذا الشرف ونوال هذه البركة. فمن خلال شفاههم.. وعن طريق رفع أيديهم.. تتجلى إرادته الكريمة، وتتنزل إرادته العليّة، ويتم اختيار الله لإمام المتقين،

الذي يستمر في قيادة جماعة المؤمنين على درب التقوى والإيمان واليقين.

إن هذا الشرف العظيم يتضمن أيضا تحذيرا كبيرا، أنه إذا تدنى مستوى التقوى في جماعة المؤمنين.. أو إذا لم تقم جماعة المؤمنين بواجب الطاعة التامة الكاملة للخليفة، فقد يرفع الله هذا الشرف عن المؤمنين، ولا يجدون الله معهم ليتخذ لهم القرار الحكيم، ويتجلى عليهم بالاختيار الصائب لشخص الخليفة.

السؤال السادس

هل الخليفة معصوم من الخطأ، وأي نوع من الأخطاء يمكن أن تقع من الخليفة؟

الجانب الآخر الهام في موضوع الخلافة هو نوع الأخطاء التي يمكن أن تحدث من الخليفة، وما إذا كان الخليفة معصوما من الخطأ كما هو الحال بالنسبة للأنبياء.

ومن الممكن تقسيم الأخطاء إلى ثلاثة أنواع من الأخطاء: أخطاء تتعلق بشؤون الدنيا، وأخطاء تتعلق بمصالح جماعة المؤمنين وأمنها، وأخطاء تتعلق بتنفيذ شريعة الله تعالى.

الأخطاء التي تتعلق بشؤون الدنيا

ما دام الله تعالى يختار كلا من النبي والخليفة.. فإن كلا منهما يمكن أن تقع منه نفس أنواع الأخطاء التي تقع من الآخر. فما هي الأخطاء التي يمكن أن تقع من النبي؟ إن الله تعالى يختار النبي لهداية الناس.. لا ليكون خبيرا في الشؤون الدنيوية، فلا بأس أن تقع من النبي بعض الأخطاء التي تتعلق بشؤون الدنيا، ولا يعيب النبي أن يخطئ في أمر من أمور الدنيا كما يخطئ غيره من البشر، فليس من المفروض على النبي أن يكون بكل شيء عليما. وهناك بعض الروايات التي تنسب إلى النبي ﷺ أنه أخطأ في أمر من أمور الزراعة، وهو كيفية تخصيب النخل. ولا يحط ذلك من قدر النبي ولا ينال من شأنه، فشؤون الدنيا لا يتلقاها النبي وحيا من الله تعالى. ومن المعروف عن النبي ﷺ أنه قال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم".

ليس ضروريًا للنبي أن يكون خبيرا في شؤون الدنيا، وكذلك لا يُفترض في الخليفة أن يكون عالما ومهندسا وطبيبا ومخترعا وخبيرا في شؤون الحاسوب، فليست هذه مسؤولياته. وكما يمكن أن يقع خطأ من النبي في شؤون الدنيا، كذلك يمكن أن يقع خطأ من الخليفة في أمر من الأمور الدنيوية. ولا فرق بتاتا بين النبي والخليفة في هذا النوع من الأخطاء.

أخطاء تتعلق بجماعة المؤمنين

النوع الثاني من الأخطاء هو الأخطاء التي تتعلق بأمور جماعة المؤمنين. وقد حدث مرة أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يقود جيش المؤمنين في أول غزوة له وهي غزوة بدر. وحيث إن الرسول كان يُعتبر القائد الأعلى للجيش.. باستخدام التعبيرات العسكرية الحديثة.. فكان عليه أن يتخذ القرارات الصائبة التي تضمن سلامة وأمن جماعة المؤمنين التي تتهيأ للقتال في معركة إذا انهزمت فيها فلن يُعبد الله في الأرض من بعدها أبدا. وحدث أن اختار القائد الأعلى للجيش مكانا لكي يعسكر فيه الجنود، ولكن ذلك الاختيار لم يكن صائبا. فلم يكن من مصلحة الجيش أن يعسكر في هذا المكان الذي يبعد عن الماء. واقترح أحد الأتباع من الجنود أن يُعسكر الجيش في مكان آخر يجاور الماء، وأدرك القائد الأعلى صواب رأي الجندي، فانتقل الجيش وعسكر في المكان الذي اقترحه ذلك الجندي.

ولا ننسى هنا أن ذلك القائد الأعلى كان سيدنا رسول الله ﷺ، وقد اختاره الله تعالى مباشرة دون تدخل أحد من البشر في عملية اختياره. وكان هو قائد الجيش الأعلى المسؤول عن اتخاذ كافة القرارات التي تكفل سلامة الجيش وكسب المعركة. ولكنه أخطأ خطأ تكتيكيا.. غير أن أحد صحابته اقترح تصحيح الخطأ فتم التصحيح على الفور. وهكذا نرى أنه من الممكن أن يخطئ النبي أو الخليفة في أمر من الأمور التي تتعلق بجماعة المؤمنين، ولكن هذا الخطأ لا بد أن يتم تصحيحه على الفور. وإن لم يتنبه أحد إلى الخطأ، فإن الله تعالى الذي اختار ذلك النبي أو ذلك الخليفة.. يتولى توجيه الأمور بحيث يجعل كل ما ينتج عن هذا الخطأ من سوء أو معاناة لجماعة المؤمنين.. يتحوّل إلى خير وبركة لهذه الجماعة، فتكون المحصلة النهائية لهذا الخطأ هي تحقيق مصلحة عظمى لجماعة المؤمنين.

وليست هذه مجرد كلمات نابعة من عاطفة المحبة والاحترام لمقام النبوة والخلافة، ولكنها الحقيقة التي ظهرت وتجلت بكل وضوح خلال حياة الرسول ﷺ. فقد

حدث أن رأى ﷺ في رؤيا أنه يدخل المسجد الحرام ويطوف بالكعبة مع صحابته، فظن أنه عليه أن يذهب توا لتحقيق الرؤيا. فخرج في صحبة ١٥٠٠ من المسلمين وبدأوا الرحلة الطويلة المضنية من المدينة إلى مكة المكرمة. غير أن قريش رفضت السماح لهم بدخول مكة، ناقضة بذلك كافة الأعراف والتقاليد العربية التي تكفل حق طواف الكعبة حتى للأعداء إذا جاءوا مسالمين بغير سلاح. بل إن أهل مكة لبسوا جلود النمور علامة على تصميمهم الشرس على الدخول في حرب مع المسلمين لردهم عن مكة. وقد أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان ليحاول إقناع أهل مكة بالسماح للمسلمين بطواف الكعبة في سلام، ولكنهم ظلوا على تصميمهم وعنادهم، وأشاعوا أن عثمان قد قُتل ليلقوا الرعب في قلوب المسلمين. ولما سمع الرسول ﷺ بخبر مقتل عثمان طلب من المسلمين أن يبايعوه على دخول مكة أو الموت، فبايعوه وهم على يقين من تحقق وعد الله لرسوله في الرؤيا بدخول المسجد الحرام. وتطورت الأمور بسرعة منذرة بوقوع حرب ضروس بين المسلمين وأهل مكة، وكان من الممكن أن يُقتل المئات من الجانبين بسبب الخطأ في تفسير الرؤيا، ولم يتنبه أحد لوقوع ذلك الخطأ. وقد أدرك الرسول ﷺ ذلك حين عاد عثمان حيا لم يُصب بأذى وعرض عليه أهل مكة الصلح على أن يمتنع من دخول المسجد الحرام في ذلك العام. واعترض المسلمون على العودة فراحوا يجادلون الرسول محتجين بأن الله وعدهم بدخول المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين. فأقر الرسول بوعد الله كما جاء في الرؤيا، ولكنه أشار إلى أن الله تعالى لم يحدد موعدا لتحقق الرؤيا في ذلك العام أو في العام التالي. إذن فقد أخطأ الرسول ﷺ في تفسير الرؤيا، وترتب على ذلك الخطأ خروج المسلمين في ذلك العام وتكبد المشاق وتحمل عناء السفر ثم العودة دون دخول المسجد الحرام. ولأن أحدا لم يتنبه لوقوع هذا الخطأ، فإن الله تعالى أجرى دفة الأمور بحيث تحولت المحصلة النهائية لهذا الخطأ لمصلحة جماعة المؤمنين. وهكذا وقّع رسول الله صلح الحديبية الذي أثبتت الأيام أنه كان خيرا عظيما لمصلحة الإسلام والمسلمين.

لعلنا من هذا الدرس العظيم نتعلم أهمية الطاعة التامة والكاملة. لقد كان المسلمون على شفا حفرة من النار بسبب ترددهم في تنفيذ أمر الرسول ﷺ، حتى دخل الرسول على زوجته أم سلمة وقال لها: "هلك القوم". ولكن الله تعالى أنقذ المؤمنين من الهلاك حيث أجرى على لسان أم سلمة نصيحة للرسول ﷺ أن يذبح قربانه ويتحلل من إحرامه، فلما فعل.. فإذا بالمؤمنين يتسابقون في طاعته ويتحللون من إحرامهم وينحرون ذبائحهم. لقد كانت لحيظة من عدم الطاعة كان من الممكن أن تؤدي إلى عواقب وخيمة، ولكن الله تعالى بفضله غيّر اتجاه سير الأمور لتصب في النهاية لما فيه مصلحة جماعة المؤمنين.

أخطاء تتعلق بأمور الشريعة

أما النوع الثالث من الأخطاء فهو الأخطاء التي تُرتكب مخالفة لأوامر الشريعة. ونحن نعلم جميعا أن الصلاة المفروضة هي خمس صلوات: الصبح ركعتان، والظهر أربع ركعات.. وهكذا. هذا ما أمر به سيدنا رسول الله ﷺ حسب أوامر الشريعة التي أنزلها الله تعالى عليه. ولكن حدث مرة أن الرسول ﷺ كان يصلي بالمؤمنين صلاة الظهر، فسلم بعد أن أدى ركعتين فقط، مما حدَا بالمؤمنين أن يسألوه: أَقُصرت الصلاةُ أم نسيتَ يا رسول الله؟ ولما أدرك الرسول أنه أخطأ في أداء الصلاة قام وأكمل الركعتين ومعه المسلمون.

إذن مثل هذا الخطأ في حق الشريعة يمكن أن يحدث من النبي أو من الخليفة، ولكنه لا يحدث أبدا إلا نتيجة للسهو أو النسيان. إن البشر مُعرَّض للنسيان، والنبي والخليفة هما من البشر، ولكن مثل هذه الأخطاء لا بد أن يتم تصحيحها على الفور، تماما كما يتم على التو تصحيح الأخطاء التي تقع في قراءة القرآن من الإمام في الصلاة. ولا يمكن أن يقع من النبي أو من الخليفة خطأ يتعلق بأمور الشريعة بسوء نية أو عن قصد.

إننا كثيرا ما نسمع أن النبي يكون معصوما من ارتكاب الذنوب والمعاصي، غير أن هذه العصمة ليست شيئا خارجيا يُفرض على النبي رغما عنه. وإنما العصمة تنبع منه وتنطلق من ذاته، وهي النتيجة الطبيعية لطاعته لله تعالى. إنه يدرك وجود الله تعالى في كل لحظة من لحظات حياته،

وهذا الإدراك المتواصل لوجود الله عز وجل هو الذي يحفظه من اقتراف الذنوب أو المعاصي، وهو ما نسميه العصمة الإلهية. فكيف يمكن للنبي أن يتعمد معصية أوامر الله تعالى؟ إن هذا أمر مستحيل الوقوع.

> **"فعندما يختار الله تعالى رجلا من أجل تحقيق الحماية الروحية لجماعة المؤمنين، فمن المستحيل أن يتخلى الله عن هذا الرجل ويحرمه من عصمته."**

كذلك فإن الخليفة هو الشخص الذي اختاره الله تعالى لكي يقوم على أمور جماعة المؤمنين، وهو الشخص الذي رأى الله تعالى أنه يَصلح لأن يكون إماما للمتقين، فهو أكثر أهل الأرض تقوى وصلاحا، وعلى كتفيه تقع مسؤولية الحفاظ على جماعة المؤمنين وقيادتها نحو آفاق أعلى وأرفع من مقامات التقوى والصلاح. فكيف يمكن لهذا الرجل أن يتعمد معصية الله تعالى وارتكاب مخالفة لأمر الله عن سوء قصد؟ إن هذا أمر مستحيل. فعندما يختار الله تعالى رجلا من أجل تحقيق الحماية الروحية لجماعة المؤمنين، فمن المستحيل أن يتخلى الله عن هذا الرجل ويحرمه من عصمته. ولنتذكر أن الله تعالى وعد بحفظ المؤمنين الصادقين من أثر الشيطان اللعين، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣)، فإن لم يكن للشيطان من سلطان على العباد المتقين، فكيف يكون للشيطان سلطان على إمام المتقين؟ كلا ثم كلا.. إن هذا أمر مستحيل الوقوع.

وفي هذا الشأن.. ليس هناك من فرق بتاتا بين النبي والخليفة، فكل ما يمكن أن يقع من أخطاء من النبي يمكن أيضا أن يقع من الخليفة، ولا فرق في ذلك بينهما البتة.

وحين ندرك ونفهم هذا الأمر تماما.. نستطيع أن ندرك أهمية مقام الخلافة وعظمته وقدره ومكانته، فهو ليس سوى امتداد لبركات النبوة. فما أعظم حظ المسلمين الأحمديين أن منّ الله عليهم بهذه النعمة العظمى. إن الفرحة التي يشعرون بها، والبهجة التي تغمرهم، والانشراح الذي يملأ صدورهم، والرضا والاطمئنان الذي يفيض في وجدانهم حين يتم اختيار الخليفة لا تعادله فرحة، ولا تساويه بهجة، وسوف يستمر هذا الفضل إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة.

سؤال أخير

هناك سؤال أخير قد يتبادر إلى أذهان بعض منا. إذا كان الخليفة معصوما من ارتكاب الذنوب والمعاصي ومن مخالفة شريعة الله، فلماذا تنص بعض العهود على طاعة النبي أو الخليفة في كل ما يأمر به من معروف؟ وهل يعني هذا أن الخليفة يمكن أن يأمر بما هو مخالف للمعروف.. أي ما هو مخالف لشرع الله تعالى؟ وهل في هذه الحالة يكون لكل فرد الحق في أن يقرر ما إذا كان الأمر الصادر من الخليفة معروفا أو غير معروف ليطيعه أو لا يطيعه؟

إن التعبير "يطيعني في كل ما آمره به من معروف" قد استعمله سيدنا رسول الله ﷺ في البيعة الأولى التي اشترك فيها سبعون رجلا وامرأتان من أهل المدينة. والقرآن المجيد يذكر الطاعة في المعروف في سياق آية الاستخلاف، حيث يقول:

﴿قُلْ لاَ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾

أي أن المطلوب هو الطاعة فيما هو معروف. وكذلك في قوله تعالى:

﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَّ يُشْرِكْنَ بِالله شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَه بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ... ﴾ (الممتحنة: ١٣)

فما معنى قوله: ﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾؟ من المستحيل أن يكون معنى هذا هو أن لا يعصينك إذا أمرتهن بمعروف، أما إذا أمرتهن بغير المعروف فليس لك حق الطاعة عليهن، ويكون من حقهن عدم طاعتك.

إن طاعة الله تعالى فيما هو معروف، وطاعة الرسول فيما هو معروف، وطاعة الخليفة فيما هو معروف.. لا يعني أبدا أن الله تعالى أو أن الرسول أو أن الخليفة يمكن أن يأمر بما هو مخالف للمعروف. لا.. وإنما يعني أن الله والرسول والخليفة لا يمكن أن يأمر إلا بما هو معروف. فإذا صدر من الله أمر، أو صدر أمر من الرسول أو من الخليفة، فإننا نكون على يقين بأن ذلك الأمر هو حتما من المعروف. وحينما نطيع الأمر الذي

يصدر من الله أو من الرسول أو من الخليفة فإننا نكون على يقين بأننا نطيع فيما هو معروف، فلن يصدر من الله أو من النبي أو من الخليفة إلا ما هو معروف. وعلى هذا فالمؤمن يكون مطمئنا إلى أنه حين يطيع أمر الله أو تعليم الرسول أو توجيه الخليفة فإن طاعته هذه هي في المعروف.

هذا الأمريضيف عظمة أخرى إلى عظمة مقام الخلافة، فما أعظمها من نعمة أن كل أمر يصدر من الخليفة هو أمر بالمعروف. لذلك فقد أطلق المسيح الموعود على نعمة الخلافة اسم "القدرة الثانية". إن القدرة الأولى هي اختيار النبي، والقدرة الثانية هي اختيار الخليفة، هذه خلافة ربانية بطريق مباشر وتلك خلافة ربانية بطريق غير مباشر، وليس بينهما من فرق بتاتا سوى أن إحدى القدرتين تتجلى بواسطة من يختاره الله تعالى من خلال صفته "الرحمن"، والثانية تتجلى بواسطة من يختاره الله تعالى من خلال صفته "الرحيم".

إن الكثيرين منا زاروا مناطق تنبت فيها الأشجار، ولعلهم شاهدوا أشجارا تنبت في أماكن لا يمكن أن يصل إليها إنسان ليزرع هذه الأشجار، حيث تنبت الأشجار في منزلقات الجبال أو بين الصخور أو على جزيرة صغيرة تحيط بها المياه من كل جانب، ولا يستطيع الإنسان أن يقف عليها، فمن الذي زرع هذه الأشجار؟ إنه الله تعالى. وهناك أشجار أخرى غرسها الإنسان بيديه، وهي تماثل الأشجار التي زرعها الله تعالى، وليس هناك من فرق بين الأشجار التي يزرعها الله تعالى مباشرة والأشجار التي يزرعها الله تعالى عن طريق الإنسان. وهكذا أيضا.. ليس هناك من فرق بين اختيار النبي واختيار الخليفة.. سوى أن أحدهما يتم مباشرة، والآخر يتم عن طريق صفوة من الناس. إن الفرق بين النبي والخليفة هو فرق في نوع المهمة التي يقوم بها كل منهما. فالنبي يأتي ليضع الأساس الذي تقوم عليه جماعة المؤمنين، والخليفة يأتي لكي يبني ويُعلي البناء على نفس الأساس الذي وضعه النبي. فالعملية كلها كأنها عملية إقامة بناء ضخم.. يرسي النبي أساسه، ثم يأتي الخليفة الأول فيبني الطابق الأول، ويأتي الخليفة الثاني فيبني الطابق الثاني، وهكذا حتى يعلو البناء، ويصير بناءً شامخا.. كالشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

رجل عظيم

حدث مرة أن سُئل السيد محمد ظفر الله خان سؤالا.. وهو الصحابي الجليل للمسيح الموعود، وابن الأحمدية البار الذي وصل إلى أعلى المناصب في تاريخه الطويل وعمره المديد، فقد كان من أنجح رجالات الجماعة في حياته الوظيفية، حيث تقلد منصب الوزير وهو في الثلاثينيات من عمره، كما أنه صار أول وزير للخارجية في دولة باكستان بعد تأسيسها، وكان رئيس الدورة السابعة عشر للأمم المتحدة، واختير قاضيا في محكمة العدل الدولية ثم رئيسا لقضاتها. المهم.. كان تاريخه باختصار حافلا بنجاح يتلوه نجاح. وكان السؤال هو: "لقد كتب الله لك النجاح طوال حياتك، فما هو سبب هذا النجاح"؟ وبدون أي تردد، ودون أي تأنٍّ ليفكر في الرد، قال على الفور: "لأني طوال حياتي كنت مطيعا لمقام الخلافة".

ما أعظمها من إجابة، وما أعظمه من رجل!

إن الخلافة الربانية هي بحق حبل الله الذي إذا اعتصم به جميع أفراد جماعة المؤمنين بغير أن يتفرقوا فإن الله تعالى سيكون حاميهم وحافظهم وناصرهم والمدافع عنهم دوما وأبدا. إن نجاتهم هي في التمسك بحبل الله هذا، وتقدمهم وازدهارهم إنما هو في التمسك بهذا الحبل الذي يمده الله لهم، ومن خلال تمسكهم بهذا الحبل فإن الله سيستمر في الإنعام عليهم بجميع نعمه وبركاته، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا.

عسى أن يوفقنا الله تعالى لأن ننتفع من بركات الخلافة، وعساه سبحانه أن يمكننا من فهم مقام وعظمة وقدر نعمة الخلافة. كما ندعوه عز وجل أن يمكّننا من التمسك جميعا بحبل الله هذا.. حبل الخلافة، وأن يديم علينا بفضله استمرار نزول بركات الخلافة.. باستمرار طاعتنا وإخلاصنا لله ولرسوله وللخليفة الذي يختاره الله تعالى. آمين ثم آمين، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

القناة الفضائية الإسلامية الأحمدية

بث يومي متواصل لأربع وعشرين ساعة إلى جميع أنحاء العالم.

تهدف هذه القناة إلى إحياء الدين الإسلامي من خلال إحياء المفاهيم الإسلامية الحقيقية التي كانت سائدة في عصر الرسول الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ .

وتتخذ سبيل طاعة الله واتباع سنة رسوله ﷺ منهاجا لها وكلها أمل أن تجمع كلمة المسلمين على يد إمام واحد أقامه الله لنشر الإسلام الصحيح وبيان جماله وكماله.

طريقة استقبال البرامج في أوروبا والشرق الأوسط: ١ . يرجى توجيه صحن الاستقبال (Satellite Dish)

٢. تعديل أجهزة استقبالكم (Satellite receiver) حسب المعطيات التقنية التالية:

SATELLITE	Hotbird 4
POSITION	13 Degrees East
VIDEO FREQUENCY	10722 MHz
POLARISATION	Horizontal
SYMBOL RATE	29900
FEC	3/4
VIDEO PID	1004

❁ نلفت عناية المشاهدين الأفاضل إلى أن خطبة الجمعة وبرامج مختلفة تُترجم إلى لغات عديدة، وحتى يتسنى التقاط هذه التراجم يمكنكم تعديل الموجات الصوتية (Audio PIDs) في جهاز الاستقبال حسب الجدول التالي:

العربية	**1404**
الأردية	**1204**
الانجليزية	**1304**
الفرنسية	**1504**
الألمانية	**1604**
البنغالية	**1704**

❁ تبث القناة يوميا برنامج **لقاء مع العرب**.. مجلس ديني علمي ثقافي يجيب فيه إمام الجماعة الإسلامة الأحمدية باللغة الإنجليزية على أسئلة الإخوة العرب وتُقدم الترجمة العربية لما يقوله حضرته مباشرة بعد انتهائه من الإجابة.تُبث حلقة من هذا البرنامج ثلاث مرات في اليوم الواحد وذلك حسب **توقيت لندن:** ٥ و٣٠ دقيقة صباحا، ٩ صباحا و٧ و١٥ دقيقة مساء. لأسباب خارجة عن نطاقنا يمكن أن يتأخر أو يتقدم بث هذا البرنامج لعشر دقائق.

ترحب أسرة الفضائية الإسلامية الأحمدية بأسئلتكم واستفسارتكم وستسعى إن شاء الله للرد عليها عبر برنامج لقاء مع العرب أو بالبريد العادي.

MTA International, P.O. Box 12926 , London SW18 4ZN UK

Tel: 0044 20 8870 0922 Fax : 0044 020 8875 024

Poem
22

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

AL TAQWA

Al Taqwa, Volume 17, Issue 1 - May 2004

THE FIRST ISLAMIC SATELLITE CHANNEL

أول محطة فضائية إسلامية

BROADCASTING DAILY ROUND THE CLOCK

٢٤ ساعة بث يومي متواصل إلى جميع أنحاء العالم

جميع المعلومات تجدها داخل العدد